4
المرحلة العربية الإسلامية

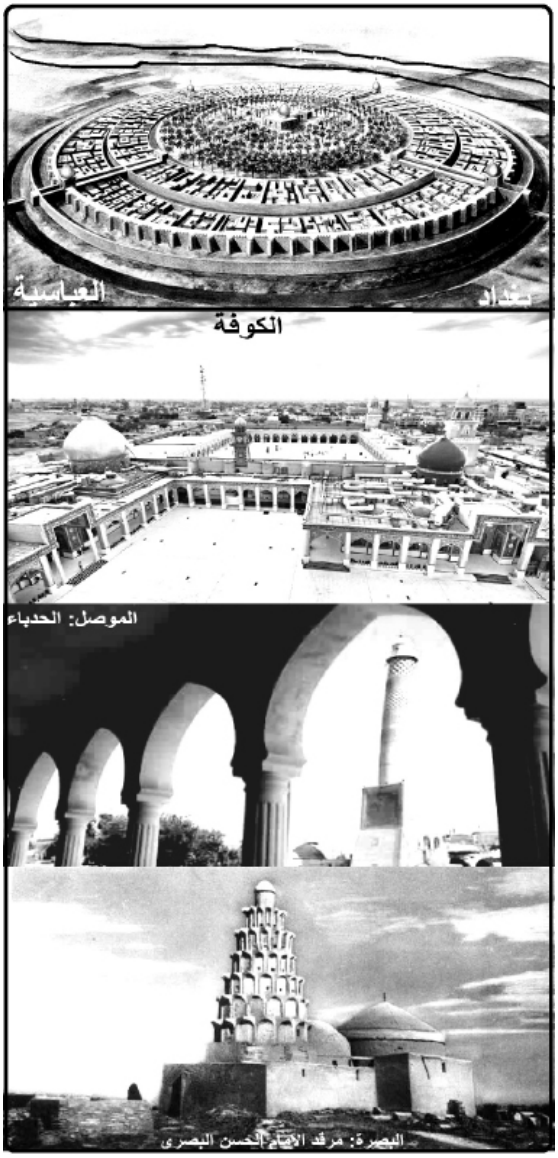

مراكز الحضارة العراقية العباسية: بغداد والكوفة والموصل والبصرة

أما العراق فمنارة الشرق، وسرة الأرض وقلبها، إليه تحادرت المياه، وبه اتصلت النضارة، وعنده وقف حد الاعتدال، فصفت أمزجة أهله، ولطفت أذهانهم، واحتدت خواطرهم، واتصلت مسراتهم، فظهر منهم الدهاء، وقويت عقولهم، وثبتت بصائرهم. وقلب الأرض العراق، وهو المجتبى من قديم الزمان، وهو مفتاح الشرق، ومسلك النور، ومسرح العين، ومدنه المدائن وما والاها، ولأهله أعدل الألوان، وأنقى الروائح، وأفضل الأمزجة، وأطوع القرائح، وفيهم جوامع الفضائل، وفوائد المبراة، وفضائله كثيرة لصفاء جوهره، وطيب نسيمه، واعتدال تربته، وإغداق الماء عليه، ورفاهية العيش به.

(حكيم يصف لعمر بن الخطاب العراق وأهله: مروج الذهب للمسعودي، ج1، ص63).

***

توضيح: هنالك اعتراض من قبل البعض، على استخدام تسمية: (الحضارة العربية الإسلامية) وتفضيل تسمية (الحضارة الإسلامية) فقط.. لكن هنالك تبرير منطقي لاستخدام الصفتين(عربية إسلامية) معا:
أولاً، لأن (الاسلام) دين 90% من قادة هذه الحضارة ومبدعيها وصانعيها.
ثانياً، لأن (العربية) هي لغة 90% من إبداعاتها وعلومها وصانعيها مهما اختلفت لغاتهم الأصلية.
نحن عادة نتقبل تسمية: (الحضارة اليونانية او الاغريقية) رغم مشاركة جميع شعوب البحر المتوسط بصنعها، وليس الاغريق وحدهم، لكن لأنها استخدمت (اللغة اليونانية). نفس الحال تماماً بالنسبة لتسمية (الحضارة الرومانية) لأنها استخدمت (اللاتينية) لغة الرومان. ثم هنالك أمر مهم جداً يستحق الانتباه ودليل على الدور الحاسم لـ(اللغة العربية) في (حضارة الاسلام):
منذ اواخر الدولة العباسية بدأت تنشأ في بلدان آسيا المسلمة: (ايران وافغانستان وتركستان والهند، ثم في الأناضول) وغيرها، عدة دول وإمبراطوريات مثل (الصفوية والعثمانية)، كانت دينيا(مسلمة) لكنها تخلت عن (العربية) كلغة اساسية ثقافية واستخدمت اللغات الفارسية والتركية والهندوسية. وهي رغم جبروتها السياسي والمادي، إلّا انها عجزت عن ابداع (حضارة عالمية مزدهرة) بمستوى تلك التي كانت خلال قرون طويلة في ظل (اللغة العربية)!؟

الاساس التاريخي السابق للفتح العربي الإسلامي!

الامبراطورية الرومانية في القرن الثاني م
تسيطر على جميع البحر المتوسط بما فيه العراق

لكي نتفهم بوضوح أكثر هذه المرحلة يتوجب تفهم الوضع الذي سبقها وهيأ لها. إذ تعرض تاريخ الفتح إلى سوء فهم كبير من قبل القدماء والمعاصرين، بسبب المفهوم التقليدي للتاريخ ومتغيراته، الذي يقوم بالتركيز فقط على دور القيادات الدينية والسياسية وطموحاتها العقائدية والسياسية، أي تجاهل العامل الأول لجميع المتغيرات الكبرى في المجتمعات البشرية وظهور الدول والأديان:

ـ العامل التاريخي الجغرافي، المتمثل بتراكم الظروف والحاجة الطبيعية التي تحتم تخطي مرحلة معينة أصبحت عتيقة، إلى مرحلة اجتماعية وسياسية وعقائدية أكثر تلاؤماً.. أي بالضبط، نفس الحاجة الطبيعية التي تحتم انتقال الإنسان من مرحلة عمرية إلى أخرى: طفولة، مراهقة، شباب.. إلخ.. أي ما أطلق عليه في العصر الحديث:

عوامل التغيير الجذري والثوري، اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً (أو دينياً)..

لأن جميع الانتقالات السياسية والحضارية والعقائدية في التاريخ، ما هي إلّا

ثورات طبيعية وثمار أنضجها الزمن وتراكم الأحداث، كان من السهل على الزعماء الدينيين وغير الدينيين قطفها وقيادتها.. إن الزعيم أو المصلح والنبي، مثل الفلاح، مهما كان ماهراً وقديراً، يستحيل عليه إنضاج الثمار قبل موعدها الطبيعي[1].

لهذا من الخطأ التعامل مع (تاريخ الأديان) بالتركيز فقط على إرادة وسياسة مؤسسي وزعماء ذلك الدين، سلباً أو إيجاباً، بل يتوجب معرفة المرحلة التاريخية بكل جوانبها الاقتصادية والسياسية وحتى الجغرافية، التي ظهر وسيطر فيها ذلك الدين (أو الفكر والنظام).

الظروف التاريخية

من المعلوم إن شعوب شرق المتوسط (العالم العربي الحالي) منذ القرن السادس ق.م قد فقدت دورها الحضاري وانتهت دولها التي سيطرت على المنطقة لعدة آلاف من السنين: النهرينية (العراقية)، والكنعانية، والمصرية، ثم آخرها (القرطاجية) في شمال أفريقيا. في نفس الوقت انبثقت أولى الدول (الآرية: الهندو أوربية)[2] في أوربا، وكذلك في الأناضول وإيران: اليونانية ثم الرومانية، التي سيطرت على عموم البحر المتوسط، الأوربي والشرقي، حتى الفتح العربي الإسلامي.. (العراق وحده، خلال هذه الحقبة تم احتلاله، من قبل إمبراطوريات إيرانية: إخمينية، وفرثية، وساسانية، تخللتها حوالي ثلاثة قرون احتلال يوناني). نفس الحالة الاحتلالية حصلت مع جميع بلدان الشاطئ الشرقي (العالم العربي الحالي).

لكن شعوب الشرق تمكنت بالتدريج من التعافي من جراح هزائمها التاريخية، والشروع البطيء بالنهوض، عبر مرحلتين متصاعدتين:

(1) ـ إن أفضل من أكد على العوامل التاريخية والطبيعية في تشكيل الأديان والحضارات، مؤرخنا (ابن خلدون: المقدمة)، والمؤرخ الإنكليزي (توينبي: تاريخ العالم)..

(2) ـ منذ أواسط الألف الثالث ق.م بدأت القبائل الآرية تخرج من موطنها جنوب روسيا (شمال بحر قزوين)، وبفضل اكتشافها استخدام الحصان وامتطائه للتنقل والحرب، تمكنت من غزو أوربا وآسيا، ويعتقد أن أولى هذه الجماعات هم (الحيثيون) في بلاد الأناضول بين 1600 ق.م ـ 1178 ق.م

المرحلة الأولى: المسيحية الشرقية وتأسيسها لنهضة الشرق

من المعلوم أن المسيحية ظهرت في القرن الأول الميلادي، حيث رعاها أساساً ونشرها أهل الشام وعموم شعوب شرق البحر المتوسط، وقد انتشر مبشِّروها وكنائسها في أنحاء الشرق[3]، وعموم أوربا ثم آسيا.

إن أعظم مهمة تاريخية أنجزتها هذه المسيحية الشرقية، أنها أتت كـ (تعبير ثقافي عقائدي) عن (بدء الصحوة) لدى شعوب الشرق بعد قرون طويلة من الانحطاط والاحتلال. فقامت هذه المسيحية بتضميد الجراح وبث روح السلام والثقة بوجود (إله تنويري) يدعو للمحبة والتسامح. وأصبحت الكنائس مراكز للتعليم والتفكير والفنون والآداب، وأنتج رجال الدين أعظم النصوص السريانية خصوصاً، كذلك القبطية، في مختلف المعارف الدينية والموسوعية والأدبية، وتمكنت بذلك من إحياء الهويات والخصوصيات الوطنية: دينياً، بواسطة المذاهب المسيحية الوطنية المستقلة عن الدول الحاكمة: (اليعقوبية الشامية، والقبطية المصرية، والدوناتية الشمال أفريقية، والنسطورية العراقية). كذلك إبراز (الهويات اللغوية) من خلال تنشيط وإحياء الآرامية السريانية في العراق والشام، والقبطية في مصر، والفينيقية الكنعانية في شمال أفريقيا[4]، وبسبب هذا الدور النهضوي للكنيسة، تعرضت إلى أشنع عمليات القمع والمذابح من قبل السلطات المجوسية الفارسية في العراق، بل حتى الدولة المسيحية البيزنطية مارست نفس الجرائم ضد مسيحيي الشرق، في الشام ومصر وشمال أفريقيا[5].

(3) ـ عن انتشار الكنائس المسيحية في الشرق: طالع:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ـ جزء أول ـ الأب ألبير أبونا ـ دار المشرق ـ بيروت ـ ط 3: 1992/ وهو موجود أيضاً على الإنترنت. كذلك طالع:
ـ دراسة جيدة وشاملة للمفكر اللبناني المسيحي «أدمون رباط»: (المسيحيون في الشرق قبل الإسلام).

(4) ـ عن استعمال الفنيقية في غالبية الكنائس في شمال أفريقيا (بعضها باللاتينية)، طالع:
ـ Païens et chrétiens: la religion et la vie religieuse dans/Robin lane Fox/ P288
ـ Revue Africaine V62 p340: H.Basset
ـ Saint Augustin et la survivance de la langue punique [article]/ Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles ـ Lettres Année 1950

(5) ـ عن اضطهاد المسيحيين الأقباط من قبل الرومان ثم البيزنط، طالع، كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة القبطية ـ القس منسي يوحنا / ص180 ـ 190.

=

المرحلة الثانية: الفتح العربي الإسلامي وتحقيق الاستقلال السياسي والحضاري

ليس صدفة أبداً أن الإسلام اعتبر متمماً لأديان المنطقة (الإبراهيمية) لأنه حقيقة نتاج تراكمي لقرون طويلة من الثقافات والعقائد التي ورثتها وصنعتها شعوب المنطقة، بل حتى اللغة العربية، هي نتاج آلاف الأعوام من تطورات اللغات السامية وتمازجها مع اللغات الحامية، المصرية والبربرية.

إذن عندما أتى الفاتحون العرب المسلمون، مهما بَدا أنهم مدفوعون بروح العقيدة، أو الاستيلاء والمغانم، إلاّ أنهم في الحقيقة وبصورة غير واعية، ما أسسوا عقيدتهم الشرقية (الإسلام) وشرعوا بفتوحاتهم، إلاّ تلبية لذلك النداء التاريخي الخفي الذي كانت تئنُّ به شعوب الشرق تشكياً من ظلم واحتقار المحتلين الأجانب[6].

= ـ كذلك دراسة مختصرة من قبل الباحث (أحمد عثمان): حقائق عن اضطهاد الرومان لأقباط مصر/ جريدة الشرق الأوسط.

(6) ـ عن حال مسيحيي الشرق قبل الفتح، طالع دراسة جيدة وشاملة للمفكر اللبناني المسيحي «أدمون رباط»: (المسيحيون في الشرق قبل الإسلام)، التي يورد فيها هذا المقطع المهم جدًّا:
وحسبنا الاستشهاد ببعض الأقوال من هذا القبيل، كميخائيل السرياني، بطريرك السريان الأرثوذكس في القرن الثاني عشر، أي بعد خمسة قرون من الفتح، وفي تاريخه الطويل نجد عبارات استهجان لسياسة الروم، كالتالية:
(لأنّ الله هو المنتقم الأعظم، الذي وحده على كل شيء قدير، والذي وحده إنما يبدّل ملك البشر كما يشاء، =

نعم إن (المسيحية الشرقية) أنجزت الخطوة الأولى لصحوة شعوب الشرق والبدء بالاستقلال الثقافي الديني، ثم أتى (العرب المسلمون) لينجزوا الخطوة الثانية الكبرى والمنتظرة التي هيأت لها المسيحية: تحقيق الاستقلال الفعلي سياسياً وحضارياً، من خلال إسقاط الإمبراطوريتين المحتلتين الفارسية والبيزنطية، وتأسيس دولة جديدة يتشارك في تكوينها وقياداتها وجيوشها وفتوحاتها ومغانمها جميع شعوب الشرق حتى الذين لم يدخلوا الإسلام، وكانت العبارة السحرية العجيبة التي تسمح لمن يقولها أن يكون عضواً فعالاً في الدولة الجديدة، هي: (الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).

وأكبر دليل على تمثيل هذه (الدولة العربية الإسلامية) لشعوب الشرق، أنها بسرعة فائقة تمكنت من نشر دينها الجديد والمتمم للمسيحية، بين هذه الشعوب التي انتقلت بغالبيتها المسيحية إلى الإسلام، لأنه يلبي مصالحها وطموحاتها التاريخية، ويصح القول: إن هذه المسيحية الشرقية هي التي هيأت هذه الشعوب لتقبل الإسلام الذي اعتبر نفسه متمماً للمسيحية؛ ولهذا فإن الشخصيات المسيحية (وكذلك من اليهود والصابئة وغيرهم) قد لعبت دوراً كبيراً في صنع هذه (الحضارة العربية الإسلامية)[7].

ثم إن الإسلام أتى كـ (حل وسط) للطوائف المسيحية الشرقية التي كانت تعاني من انشقاقات مذهبية شديدة وعنيفة متداخلة مع الصراعات الدامية المستمرة بين الإمبراطوريتين المحتلتين: البيزنطية والفارسية[8]، أي عكس (المسيحية الأوربية)

= فيهبه لمن يشاء، ويرفع الوضيع بدلاً من المتكبّر، ولأنّ الله قد رأى ما كان يقترفه الروم من أعمال الشر، من نهب كنائسنا وديارتنا، وتعذيبنا بدون أيّة رحمة، فإنما قد أتى من مناطق الجنوب ببني إسماعيل، لتحريرنا من نير الروم... وهكذا كان خلاصنا على أيديهم من ظلم الروم وشرورهم وحقدهم واضطهاداتهم وفظاعاتهم نحونا).

وهي شهادة رهيبة، نجد مثلها، مما يتعلق بأقباط مصر، في تاريخ يوحنا النيقوسي، الذي تولى أسقفية نيقو في دلتا النيل، بعد فتح مصر بقليل، وكذلك في تاريخ سواروس الأشموني، الذي جاء من بعده، وهي شهادة لا شك بأنّها تدل على ما كان عليه مسيحيو مصر وسوريا والعراق من الشعور نحو البيزنطيين والفرس من جهة، وحيال العرب المسلمين من جهة ثانية.

(7) ـ عن إسهام المسيحيين في صنع الحضارة العربية الإسلامية، طالع:
ـ الأب البير أبونا: تاريخ الكنيسة السريانية ـ 3 أجزاء ـ دار المشرق ـ بيروت ـ 1986.
ـ نينا بيغوليفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى ـ دار الحصاد ـ دمشق ـ 1990.
ـ الأب جورج قنواتي: المسيحية والحضارة العربية ـ المؤسسة العربية ـ بيروت.

(8) ـ عن انشقاقات المسيحية الشرقية، ظهرت في الشرق مذاهب متنافسة عديدة ومعظم خلافاتها كلامية سطحية، مثل النسطورية والمنوفزية والثنوية والدوناتية والأريوسية، لكنها تغذى وتستخدم من قبل الإمبراطوريتين =

التي كانت أكثر استقراراً وتوحداً تحت سلطة كنيستين كبيرتين: الكاثوليكية في غرب أوربا، والأرثوذكسية في شرق أوربا.

حتى بالنسبة للشعوب (التركستانية والآرية) في إيران وأفغانستان وآسيا الوسطى والتي كانت خاضعة للإمبراطورية الفارسية (الساسانية)، فإنها سرعان ما تقبلت الإسلام والعربية وتخلت عن المجوسية[9]، لأنها كانت مسبقاً متقبلة سلمياً وبشكل كبير للمسيحية النسطورية (العراقية)، بالإضافة إلى أن اللغة الآرامية السريانية (العراقية) التي كانت اللغة الثقافية الوحيدة لجميع الإمبراطوريات الإيرانية[10]، ولأن الإسلام

= المتصارعتين: الفارسية المجوسية والبيزنطية المسيحية، اللتين تساوتا في تآمرهما وقمعهما لمسيحيي الشرق... طالع نفس المصدر السابق.

(9) ـ عن سرعة تقبل الإسلام من قبل الإيرانيين والتركستان، طالع مثلا:
ـ كتاب: الإسلام وإيران/ مرتضى مطهري/ الجزء الأول ـ ص70ـ 76/ مترجم عن الفارسية.

(10) ـ إن موضوع انتشار اللغة الآرامية السريانية والمسيحية العراقية في إيران وعموم آسيا، مهم جداً وأساسي لفهم المرحلة العربية الإسلامية، وهذه بعض المصادر المختلفة لعدة جوانب من هذا الموضوع الهام:
ـ اللغة الآرامية وأثرها في اللغتين العربية والفارسية/ مازن محمد حسين وإياد محمد حسين: مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية/ بغداد/ وهو أيضاً موجود كاملاً في الإنترنت.
ويبين فيه المؤلفان انتشار الأبجدية الآرامية بين الكثير من لغات العالم ومنها الفارسية والهندية والتركية القديمة. كذلك كيف أن الكثير من الكلمات العربية، التي احتسبتها القواميس بأنها من جذور فارسية، هي بالحقيقة (سامية ـ سومرية). مثل: آجر، أرجوان، أنجانة، أوزة، إيوان، بارية، بستوقة، تخوم، جاموس، جص، خان، زنبيل، وغيرها الكثير..
ـ عن انتشار التعليم بواسطة الكنائس، طالع كتاب:
ـ إيران في عهد الساسانيين/ مصدر سابق ـ ص35 و411.
لمزيد من الاطلاع على تاريخ الأدب السرياني في العراق وفي الشام، طالع كتاب:
ـ تاريخ الأدب السرياني: روبس دوفال ـ ترجمة لويس قصاب، بغداد 1992.
ـ كذلك: تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية/ مصدر سابق.
منذ القرن الرابع م ظهرت أسماء لامعة في مؤلفات الأدب السرياني، ومن أشهرهم: (أفرام السرياني، وبرديصان)، ووجدت في العراق أكثر من خمسين مدرسة صغيرة وكبيرة، مثل مدارس: (الرها ونصيبين ـ شمال النهرين) و(جندشابور ـ الأحواز) وقنسرين (سوريا)، وفيها يدرس اللاهوت والفلسفة وعلوم الطب والفلك والفيزياء والرياضيات والطبيعيات والتاريخ والآداب وغيرها.
ـ عن تأثير السريانية في الفارسية البهلوية، طالع كتاب: إيران في عهد الساسانيين/ آرثر كريسنر/ ص35 و67 و411.
ـ كذلك: الموسوعة البريطانية britannica: Pahlavi alphabet.
ـ كذلك موسوعة طهران بالفرنسية:
ـ Petite histoire de l'écriture en Iran/ Revu TEHRAN/ Arefeh Hedjazi
كل الآثار التي وجدت بهذا الخط البهلوي، هي عبارة عن نقوش متفرقة على (النقود)، و(الأواني)، وجرافيتي، والعديد من المنتجات الحرفية، وكذلك كتب الزرادشتية الموسعة بالفارسية الوسطى.
ـ يذكر الباحث الإيراني في جامعة طهران (محمود جعفري دهقي) في كتابه: «دليل النقوش الفارسية الوسطى البهلوية الساسانية»: أن كل ما تم العثور عليه من الكتابة البهلوية هي نقوش منتشرة، مثل نقش رستم في كازرون ومعبد زرادشت في سرمشهد كازرون وإقليد وبيشابور وكرمانشاه ورادكان في كركان وفي القوقاز =

قد حقق لهذه الشعوب خلال أقل من قرن، ما لم تحققه إمبراطورياتهم (الإخمينية والفرثية والساسانية) خلال ألف عام: انتماءهم لدين كتابي حضاري مساواتي معاكس تماماً للمجوسية التي كانت تحتقر الكتابة والمدنية، بل ترفض حتى دفن الموتى والاغتسال بالماء، مع واجب تقديس الملوك والنبلاء، والاحتقار العنصري الشرعي للفقراء[11].

والأهم في هذا، أن العرب المسلمين شجعوا هذه الشعوب على المشاركة الفعالة في إدارة الدولة الجديدة والاستفادة من مناصبها ومغانمها، وأكبر دليل أنها قد شاركت بصورة رائدة في صنع الحضارة العربية الإسلامية ونشر الإسلام في عموم آسيا. لكن تمايزها التاريخي اللغوي الثقافي، جعلها تتقبل العربية كلغة ثقافية دينية وليست شعبية، على عكس العالم الشرقي الذي تقبل شعبياً العربية وأصبح (العالم العربي).

= وحتى الصين...كتبت من قبل الملوك والقادة وكذلك التجار والمسؤولين وأخيراً النقوش الموجودة على شواهد القبور.

(11) ـ عن تخلف المجوسية وعموم الثقافة الإيرانية قبل الإسلام، طالع:
ـ آرثر كريستن ص131: يؤكد أن كتاب المجوسية قد دون في القرن التاسع م، أي بعد الإسلام بثلاثة قرون.
كذلك ـ خرافة الوحي والنبوة والتوحيد في الديانة الزرادشتية/ د. خالد كبير علال/ ص17ـ 19.
ـ عن احتقار الفرس للكتابة، يقول المؤرخ (إيفار ليسنر Ivar Lissner) في كتابه المعروف والمترجم (الماضي الحي): إن الفرس كانوا ينظرون إلى الكتابة على أنها مهارة لا تليق بالرجال، إذ كانت الحرب والصيد والحريم أهم في نظرهم من الكتابة.، وأن ما يسيء إلى سمعتهم هو أن يحطوا بأنفسهم إلى درك وضع مؤلفات أدبية، ولهذا فإنهم لم يخلفوا لنا سجلات مكتوبة ذات شأن (ص124).
ـ طالع كذلك: إيران في عهد الساسانيين (مصدر سابق): ص400 و407 و413.
حتى تاريخ الساسانيين اعتمد على مصادر سريانية:
ـ نفس المصدر السابق ـ ص67.
ـ عن انتشار المسيحية بين نبلاء الفرس:
ـ إيران في عهد الساسانيين (مصدر سابق):399 و410.
ـ من الطريف أن الدولة الفارسية قد ساهمت بصورة غير مقصودة بنشر المسيحية في أنحاء الإمبراطورية، من خلال سبي الجاليات المسيحية السورية في أنحاء الإمبراطورية. طالع كتاب:
ـ تاريخ الكنيسة السريانية ـ البير أبونا ـ ص23ـ 24.
ـ كذلك عن ضعف المجوسية وانهيارها قبل الإسلام: طالع: نفس المصدر السابق: ص431.

الاساس الكنعاني. الآرامي الذي هيأ لانتشار العربية

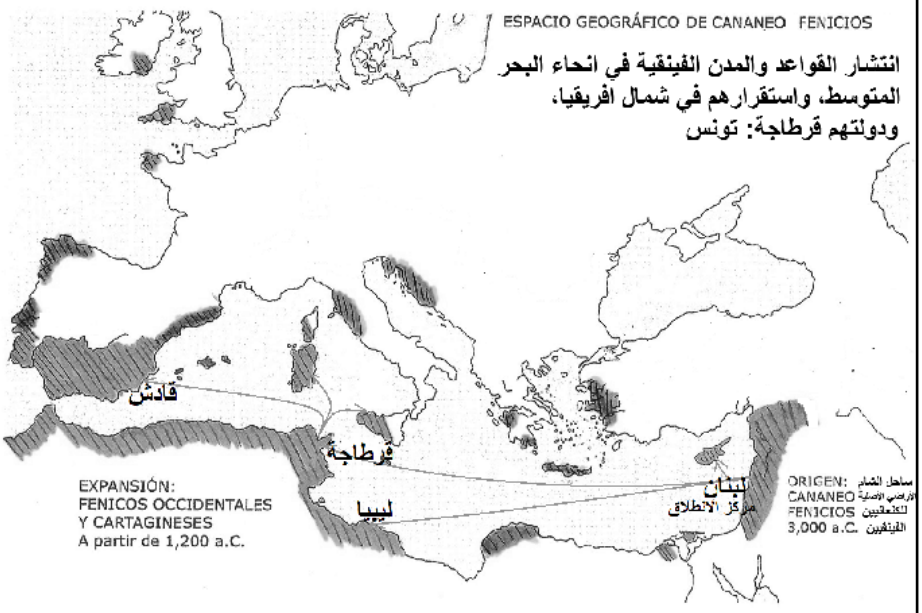

ان سبب سهولة انتشار اللغة العربية ثقافياً وشعبياً، يعود إلى الأساس الثقافي واللغوي (السامي ـ الحامي: القبطية والبربرية) لشعوب الشرق، وخصوصاً اللغة (الآرامية ـ السريانية) التي كانت لغة الدين والثقافة، وكان للآرامية حضور ثقافي مهم في مصر بفضل العلاقات التاريخية المتواصلة مع شعوب الشام، وقد عثر على وثائق بالآرامية في أسوان ـ مصر (جزيرة فيلة) هي عشر مخطوطات تعود إلى عهد الاحتلال الآشوري لمصر (680 ـ 669 ق.م)، وقد تعزز التبادل اللغوي والثقافي خصوصاً بعد انتشار المسيحية القادمة من الشام[12]. علماً بأن ديانة بعل الكنعانية مع اللغة الفينيقية (القرطاجية) ظلت منتشرة في جميع سواحل شمال أفريقيا لقرابة ألف عام، حتى الفتح العربي الإسلامي وهي التي هيأت لتقبل العربية[13].

* * *

(12)ـ عن العلاقات الثقافية والدينية بين الشام ومصر، طالع مثلا هذه الدراسة القبطية مفصلة:
نبذة مختصرة عن العلاقات القبطية السريانية عبر العصور.

(13)ـ عن استمرار الكنعانية لأكثر من ألف عام في شمال أفريقيا: طالع:
ـ ماضي شمال أفريقيا ـ أ.ف. غوتييه ـ ص100ـ 101/ مترجم/ ص91.
ـ تغريبة الأدب الكنعاني: ألف عام وعام على ضفاف المتوسط الأفريقي/ حفناوي بعلي/ دار دروب.

سكان العراق قبل وبعد الفتح

الإسلام والتعريب في العراق[14]

((علم الأنساب: هذا علم لا ينفع، وجهالة لا تضر)). الرسول الكريم.

((فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)) سورة المؤمنون101

هذه الاقوال الحكيمة، تنطبق على جميع أقوام وشعوب الأرض، إن الانتماء الجمعي، لا يتم عن طريق النسب والأصل العرقي، بل عن طريق المعيشة والاختلاط والتزاوج، التي مع الزمن تخلق مصالح وثقافة مشتركة، مع مشاعر بالانتماء الواحد. أما حكاية النسب، فإننا بعد الجد الثالث أو الرابع، ندخل في مجال الافتراضات والادعاءات، فكيف إذن الحال مع (الأصل القبائلي والأقوامي) الذي يدَّعي الانتماء إلى أجداد بعيدين إلى ما قبل قرون، بل آلاف الأعوام، مثل عدنان وقحطان ويعرب وإسماعيل...؟!

إنها محض خيالات وخرافات قد تخلت عنها غالبية شعوب الأرض، لأنها لم تعد نافعة، ثم إن البحوث الجينية في السنوات الأخيرة أثبتت عدم صحتها[15].

سكان العراق قبل الفتح

عندما دخلت الجيوش العربية الإسلامية إلى العراق وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين من السكان العراقيين بأغلبيتهم الساحقة من المسيحيين (النساطرة) مع أقليات من الصابئة واليهود والمانوية، بالإضافة إلى بعض المجوس من الإداريين والعسكريين الإيرانيين (الدهاقنة)، وكانت لغة هؤلاء جميعهم هي اللغة السريانية (الآرامية) العراقية، التي سبق لها وأن سادت في الإمبراطورية الفارسية، وأصبحت لغة الثقافة الأولى جاعلة من اللغة الفارسية البهلوية محصورة في البلاط ورجال الدين المجوس (الموابذ).

(14) ـ حول سكان العراق وأعدادهم، راجع:
ـ فيليب فارج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي ـ الفصل الأول ـ دار ابن سينا ـ القاهرة ـ 1994.
ـ شارل عيساوي: تأملات في التاريخ العربي ـ الفصل الثاني ـ مركز دراسات الوحدة ـ بيروت ـ 1991.
(15) ـ راجع بداية الفصل الأول من كتابنا هذا: سكان النهرين من الناحيتين الجينية والسلالية.

الطوائف في الفترة الاولى من الفتح العربي الاسلامي، بناء على تقديرات الضرائب المجتباة من السكان في الامبراطوريتين البيزنطية والساسانية، مع مصادر أخرى:

الاقليم	اجمالي السكان	المسيحيون	اليهود
شبه الجزيرة العربية	1 ملايين	100 ملايين	10 آلاف
سوريا	4 ملايين	حوالي 4 ملايين	40 ألفاً
بلاد النهرين	9 ملايين	حوالي 9 ملايين	91 ألفاً
مصر	اقل من 3 ملايين	اقل من 3 ملايين	27 ألفاً
الاجمالي	حوالي 16 مليوناً	اقل من 16 مليوناً	168 ألفاً

من كتاب ((المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي ـ فارج وكرباج ـ ص 44 ـ 45))

من هم العرب والاعراب؟

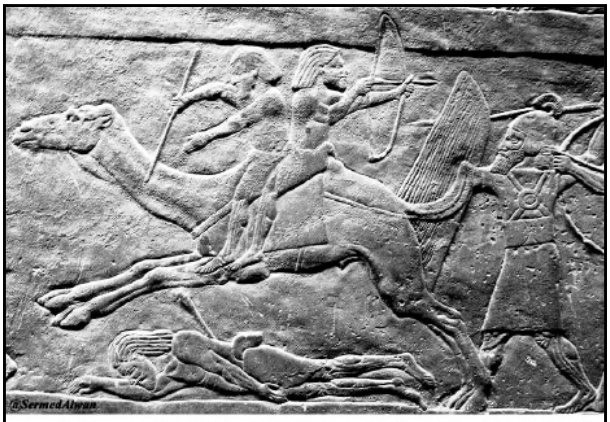

أقدم نص مكتوب لتسمية: "عرب" في نقش الملك الآشوري شلمنصر الثالث عن (معركة قرقير 854 ق.م)، وانتصاره ضد ملك دمشق وحلفائه من القبائل الآرامية العربية، ومن بينهم "جندب"، ملك العرب، أو (ملك: عربي). وقد وقعت في منطقة "قرقر"، قرب حماه. وهذا النقش ايضا هو من اقدم ما صور لـ(الجمل) ويمتطيه امير العرب.

((ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلَّم بالعربية، فهو عربي)) حديث شريف

هذا الحديث النبوي ينسجم تماما مع كل ما وارد في القرآن عن معنى: (عرب).

مما يجلب الانتباه ان جميع الآيات لم تطلق ولا مرة واحدة: (عربي) على شخص او قوم او مكان، بل جميعها تصف (اللغة) فقط:

((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [2 يوسف]/ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا [37 الرعد]/ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ [113 طه]/ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ [28 الزمر]/ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ [103 النحل] بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [195 الشعراء] أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ [44 فصلت] [16]

ان هذا التحديد (اللغوي) لـ(عربي) من قبل القرآن ينسجم ايضا مع المفهوم الحالي لاصل الشعوب جميعها إذ قبل ان تتميز عن بعضها البعض بالعرق والشكل والاصل، تميزت اولا وقبل كل شيء بـ(لغتها الخاصة بها). وهذا يتفق مع الفكرة التي طالما دافعنا عنها: بأنه من العبث البحث عن (اصل العرب) من الناحية العرقية والاجداد الافتراضيين الاسطوريين مثل (عدنان وقحطان). بل من المجدي والمعقول البحث عن الظهور الاول لـ(اللغة العربية) وانتشارها ثم تميز الناطقين بها بلقب: (عرب) عن باقي الاقوام القريبة والبعيدة بلغتهم.

اقرب تشبيه لتكون الاقوام والتحالفات القبائلية الكبرى في العالم اجمع: انها اشبه بـ(الاحزاب في العصر الحديث) حيث ينتمي اليها كل راغب ومتفق، أفراداً وجماعات، يشتركون بالمصالح والتجاور والتحالف، وينصهرون في اسم مشترك ولغة وثقافة واساطير. وكلما استقووا كلما توسعوا، وانضمت اليهم جماعات اخرى جديدة مع مرور الزمن يحملون اسمهم ولغتهم واساطيرهم عن مهد واصل قديم قديم واجداد مشتركين.

العرب والتعريب في العراق

بعد تحرير العراق أصبح جزءاً من الدولة العربية الإسلامية الآخذة بالتوسع حتى أواسط آسيا وشمال أفريقيا وجنوب أوربا، وقد استقر الجيش الإسلامي في معسكرين

(16) ـ باستثناء: عُرُبًا أَتْرَابًا [37 الواقعة]، وهي بالضمة وليس بالفتحة. وحسب اتفاق المفسرين المقصود بها وصف نساء الجنة المحبوبات الى ازواجهن: تفسير ابن كثير: ص 535

هما الكوفة والبصرة اللتان مُصِّرتا لتصيرا قاعدتين للجيوش ثم مقراً للإدارة. قسَّم عمر بن الخطاب الدولة إلى ولايات، فأصبحت الكوفة ولاية والبصرة ولاية، والجزيرة (الموصل) ولاية.

عملية التعريب كانت سهلة بسبب التقارب الكبير بين سكان الجزيرة العربية وأهل العراق بقسميهما الناطق بالآرامية والناطق بالعربية (مثل عرب الحيرة)، لغوياً وثقافياً واجتماعياً. خلال فترة وجيزة وبطرق سلمية عموما سيطرت اللغة العربية كلغة دينية على الحواضر العراقية مع بقاء اهل الريف على لغتهم الآرامية (النبطية).[17] وقد صاحبت التعريب، عملية انتماء أهل الحواضر ثم اهل القرى إلى القبائل العربية الفاتحة والشرفاء العرب الحاكمين من خلال ما يسمى بنظام (الموالاة والتحالف)، وخلال قرنين تقريباً أصبح غالبية سكان العراق المسيحيين الآراميين مسلمين عرباً![18]

بما أن موضوع (من هم العرب وأصلهم؟)، واسع ويخرج عن نطاق كتابنا هذا، نقول باختصار:

ـ إن العرب، مثل جميع شعوب وأقوام الأرض، من المستحيل البحث عن أصلهم العرقي الأنسابي، لأن الشعوب مثل البحار تتكون عبر قرون طويلة من مختلف الأصول واختلاطات الأنهر والمصبات والأمطار، وتمتزج لتنتمي إلى اسم ولغة وأسطورة عن أجداد مشتركين. إن أقصى ما يمكن أن يقدمه البحث التاريخي، هو أصل وتاريخ ظهور اسم العرب ولغتهم، وبعد الفتح الإسلامي، مع انتشار العربية والإسلام توسع عشرات الأضعاف الانتماء العربي بعد استعراب وأسلمة شعوب العالم العربي الحالي. مثل جميع شعوب الأرض، إن العربي الحالي، هو عربي كامل، ولكن ليس بالضرورة أنه منحدر من الجماعات العربية الأولى[19].

(17) ـ عن سكان العراق في هذه الحقبة طالع:
ـ تاريخ العراق الاقتصادي: عبد العزيز الدوري
ـ كذلك ابحث عن دراسة جيدة عن (نبط العراق): النبط تغييب الهوية والامتداد الاثني في العراق: حكمت البخاتي
ـ عن سهول التعريب يؤكد هذا الباحث المستشرق (المستشرق بارتولد): الحضارة الإسلامية ص30.

(18) ـ عن تعريب الانباط: Ency of Islam (art Nahw) T3.P. 894 – 895

(19) ـ بالحقيقة إن المعلومات عن أصل اسمي (عرب) و(أوربا) معروفة ومتفق عليها من غالبية الباحثين العرب والأجانب، ولكن حسب ظننا، نحن أول من انتبه وربط بين الاسمين بالمعنى والأصل.

ما الفرق بين (العرب) و(الاعراب: البدو)؟

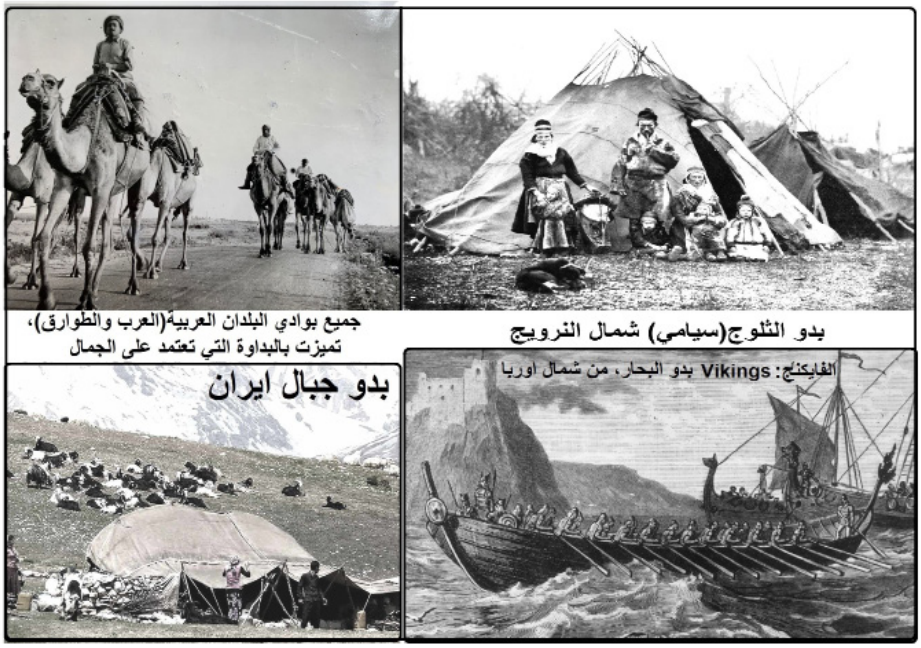

«وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ... وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ». القرآن الكريم

إن «الاعراب»[20] إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب (المقدمة: 26)

هكذا فإن القرآن قد ميز بين العرب مثل جميع الاقوام المهاجرة التي ظهرت عبر تاريخ البشرية التي اجبرت على ترك موطنها والتنقل بحثا عن موارد الحياة. أي كانوا (قبائل رحل) يتنقلون في بوادي الشام والعراق والحجاز بحثا عن موارد الحياة.

ساد في العصر الحديث مفهوم تعسفي وعنصري يربط (العرب) وحدهم بـ (البدو). والحقيقة ان جميع شعوب الارض مرت بمرحلة (البداوة) بمعنى: (الناس الرحل: Nomad)[21]، اي: عدم الاستقرار بمكان ثابت وامتهان الزراعة، بل التنقل بحثا عن

(20) ـ لقد سمحنا لانفسنا بتعديل الكلمة من(العرب) الى (الاعراب)، إذ اتفق الباحثون وبالاعتماد على سياق كتاب المقدمة نفسه، ان(ابن خلدون) قصد استخدام هذه الكلمة(اعراب). لأن كلمة(عرب) ترد في كثير من مواضيع المقدمة بمعنى اهل الحضر والحضارة.

(21) ـ عن البدو: الرحل، ابحث مثلا عن كلمة:(Nomad) بمختلف اللغات الاوربية.

النبات ومراعي الحيوان. وكان تعريف مؤرخنا (ابن خلدون) اكثر واقعية وانسانية من مثقفي عصرنا، إذ قال:

((البدو يعيشون على المعاش الطبيعي من الزراعة والرعي والضروري من الأقوات والملابس والمساكن دون اهتمام بالكماليات، والمزارعون يقيمون في القرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم... والرعاة ينتقلون حسب الكلأ والمياه، وإذا كانوا رعاة أغنام وبقر فلا ينتقلون كثيرا، مثل البربر والترك والتركمان والصقالبة، أما رعاة الإبل فهم أكثر وأبعد في التنقل، فالإبل أصعب الحيوانات، فاضطر رعاتها إلى الابتعاد بها، فكانوا أشد الناس توحشا، وذلك ينطبق على العرب (الأعراب) وقبائل زناته بالمغرب، والأكراد والتركمان والترك بالمشرق. إلا أن العرب أكثر توغلا في الصحراء وأشد بأسا وذلك لأنهم تخصصوا في الإبل فقط، وغيرهم يرعى الشاة والبقر مع الإبل. وهكذا فجيل العرب طبيعي، لا بد منه في العمران)).[22]

بناء على هذا يصح الحديث عن عدة انماط من البداوة،: (عدم الاستقرار، والتنقل الدائم بحثا عن الصيد والكلأ)، ونحددها نحن:

- بدو البوادي، مثل العرب والطوارق واتراك آسيا الوسطى
- بدوالثلوج مثل (الاسكيمو) سكان القطب الشمالي
- بدو البحار، مثل (الفيكنغ) الجرمان الشماليين الذين غزو اوربا
- بدو الجبال، مثل (الاكراد) و (اللور) و (البختيار) في ايران..

اسما (عرب ARABE) و(أوربا Europe)

نفس الأصل والمعنى: غـرب EREB!

إن التاريخ يقدم لنا الكثير من الغرائب والطرائف التي لا تبدو معقولة، لكن التشابكات والصدف قد أدت إلى حصولها، ومن بين هذه المفارقات تلك العلاقة والأصل الواحد بين اسمي (عرب) و (أوربا)!

(22) ـ عن البدو: مقدمة ابن خلدون: الفصل الثاني: في أن جيل العرب في الخلقة طبيعي

لفهم هذا الموضوع يتوجب التوضيح الهام التالي:

إن حرفي (ع) و(غ) في اللغات السامية مختلطان، وتكاد اللغة العربية وحدها تحتوي على حرف الـ (غ)، فمثلا إن اللغة الأكدية تخلو من هذين الحرفين وتلفظهما (أ)، فكلمة: (عرب) و(غرب) تلفظان: (أرب)[23]. أما اللغتان السريانية والعبرية فتعتبران الحرفين واحداً هو: (ع). فكلمة: (عرب، عربو عربا) في السرياني تعني: (العرب، الغرب، الغريب)..

بالحقيقة إن اللغة العربية وحدها ميزت باللفظ كلمة (غرب) عن (عرب)، من خلال استخدام حرف (غ). وهذا التشابك بين الكلمتين: (عرب) و(غرب)، لا يكمن في الحروف، بل لأن الكلمتين فعلاً بالأصل كلمة واحدة في اللغات السامية، والسبب لأن سكان العراق الأوائل ربطوا بين (الغرب) و(البادية) التي تقع جهة الغرب: البادية الغربية[24]، كذلك الحال في العبرية القديمة[25].

إن هذه العلاقة بين كلمة (غرب) ومعاني (البداوة والتنقل والابتعاد)، منبعها من حالة (غروب الشمس) وابتعادها واختفائها في (ظلمات الغرب). أي أن الجهة الغربية دائماً مرتبطة بغروب الشمس وابتعادها!

المرة الأولى في التاريخ التي تم فيها ذكر اسم (عرب) في نقش الملك الآشوري (شلمنصر الثالث 858 ـ 824 ق.م.) أثناء حملته (معركة قرقور: قرب حماة) ضد (القبائل الشامية الآرامية) المتمردة، ومن بينها قبيلة عربية، كتب عنها: (أنا أحرقت 1200 مركبة بالنار و1000 جَمَل لـ: جنديبو عريبي ـ أي جندب العربي) وهو أقدم

(23) ـ عن خلو الأكدية من الحروف الحلقية، طالع مثلا:
ـ فقه اللغات العروبية وخصائص العربية: د. خالد نعيم الشناوي: ص58 ـ 61.
ـ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ج3 ص53.
ومن المعلوم أن اللغة العربية تتميز بوجود ستة أحرف تسمى «الروادف» وهي: ث، خ، ذ، ض، ظ، غ.
(24) ـ عن كلمة (عرب، عربا) بالسرياني:
ـ قاموس دليل الراغبين في لغة الآراميين سرياني ـ عربي ص 565 ـ 566، وقاموس الحسن بن بهلول، سرياني عربي عمود 1458.
ـ بنيامين حداد، قاموس روض الكلمات: عربي ـ سرياني ج1 ص 104، 604، ج2 ص704)، كلمات: غرب وصحراء وبيداء..
(25) ـ تاريخ اللغات السامية: أ، ولفنسون: ص164.

ذكر تاريخي لـ (عرب) و(جمل)؛ لأن استخدام الجمال ومعها الرحال (المقعد فوق ظهر الجمل)، بدلاً من الحمير، ارتبط بظهور العرب، فهذا الحيوان هو الذي ساعد هذه القبائل السامية المعتكفة والمنسية في البوادي منذ فجر التاريخ، على الخروج والتنقل السهل، والظهور كقوافل تجارية وقوى محاربة. بالضبط كما ساعد (استخدام الحصان) القبائل الآرية (الهندو- أوربية) على الظهور وغزو آسيا وأوربا والشرق الأوسط.

ويستمر ذكر (العرب) في النقوش العراقية دائماً مقترناً بـ (سكان البادية الغربية راكبي الجمال). فبعد قرن يتحدث ملك بابل عن حملته في (البادية الغربية جنوب الأردن): (أمّا شمسي، ملكة العرب في تلّ سقوري، فقد قتلتُ 9400 من مقاتليها، وأسرت مائة ألف من رجالها، وأخذت 30.000 من جمالها و20.000 رأس من قطعانها، و5000 حِقّ مليئة بالتّوابل، وأخذت آلهتها وممتلكاتها)[26].

إذن طبيعة اللغات السامية وتبادل حرفي (ع) و(غ)، وكذلك الوقائع التاريخية، تكشف لنا بوضوح العلاقة بين تسمية (عرب) و(غرب: بادية)، وليس صدفة أن أولى مواطن العرب التي تم ذكرها رسمياً في الإدارات اليونانية والفارسية والبيزنطية، هي: (عربايا) أي بادية أعالي الجزيرة غرب الموصل، وفيها تكونت مملكة (الحضر: بين القرون الثاني ق. م، والثاني م)، ثم (وادي عربة) جنوب غرب الأردن (غرب بلاد النهرين).

(26) ـ عن ذكر العرب في تاريخ العراق القديم:

ـ Retso, Jan (4 July 2013). The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads.

ـ Eph'al, Israel (1982). The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9Th

5Th Centuries B.C

ـ يان ريتسو: العرب في العصور القديمة: 7007 ـ 1679 ـ 3، صفحة: 105.

ـ العرب في التاريخ: لويس برنار: ص9.

كذلك دراسة جيدة ومفصلة عن ذكر العرب في الحوليات الآشورية، وحضور العرب في العراق القديم:

ـ العرب وبلاد ما بين النهرين في الألف الأوّل قبل الميلاد/ الدكتور صباح الناصري.

مرتبطة بدراسة أصلية بالإنكليزية:

ـ THE ARAB CAMPAIGNS OF ASSURBANIPAL:SCRIBAL RECONSTRUCTION OF THE PAST/ Pamela Gerardi

ولا زال أهل العراق حتى الآن يسمّون: (البادية الغربية)، ويطلقون تسمية (الغربية) على سكان مناطق أعالي الفرات (الأنبار)، مقابل (الشروگية ـ الشرقية) سكان جنوب شرق العراق، وإذا أردنا تلفظ كلمة (الغربية) بالأسلوب الأكدي والآرامي فتكون: (عربيو)..

لهذا فإنه من المعاني العديدة لكلمة (عرب) و(غرب):

ـ الغرب: الغريب: أغرب، تغرب، أي ابتعد، (وهي معاني مرتبطة بالتنقل).

ـ العرب: أعرابي (بدوي)، العربة (أداة التنقل): العرّاب (الشخص الغريب الذي يكفل الطفل عند المسيحيين)[27].

اسم أوربا Europe أيضاً من كلمة (عرب: غرب: Ereb)[28].

يتفق الباحثون الأوربيون على إرجاع أصل هذه التسمية إلى الأسطورة اليونانية، المأخوذة من الفينيقيين الشاميين، والتي مختصرها: أن (أوربا ـ Erbe:عوربا، غوربا، أوربا)، أميرة فينيقية، ابنة ملك صور (لبنان)، عندما كانت تتمشى على شاطئ البحر، شاهدها (زيوس، إله اليونان) وانبهر بجمالها، فتنكر على هيئة ثور واختطفها نحو

(27) ـ هنالك شك من الباحثين بوجود حرف (غ) أصلاً في اللغات السامية، طالع بحث منشور:
إشكال التبدلات الصوتية في اللغات السامية: الدكتور وحيد صفية.

(28) ـ جميع المصادر تتفق على هذه القصة، ابحث في العربي: (أسطورة اسم أوربا)، بالإنكليزي (Myth of Europa)
ـ لتسهيل الأمر على القراء، ولمن يعرف أية لغة أوربية، مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية، ليضع في البحث هاتين الكلمتين
كذلك ابحث عن (Europa) في الموقع الإنكليزي العالمي الخاص بأصل الكلمات: Online Etymology Dictionary).
وتقول موسوعة ويكيبيديا بالإنكليزية (Europe):

There have been attempts to connect Eurṓpē to a Semitic term for «west», this being either Akkadian erebu meaning «to go down, set» (said of the sun) or Phoenician ʿereb «evening, west»,[20] which is at the origin of Arabic Maghreb and Hebrew maʾarav. Michael A. Barry finds the mention of the word Ereb on an Assyrian stele with the meaning of «night, [the country of] sunset», in opposition to Asu «[the country of] sunrise», i.e. Asia.

كانت هناك محاولات لربط اوربا بمصطلح سامي لكلمة «الغرب»، من الأكادية (إريبو erebu) ويعني «النزول، والغروب» (يقال عن الشمس) وبالفينيقية «المساء، الغرب»، وهي أصل تسمية (المغرب العربي) والعبرية (معاراف). وقد وجد (مايكل أ. باري) ذكر كلمة Ereb على شاهدة آشورية بمعنى «الليل،]بلد[الغروب»، على عكس (آسو Asu)]بلد[شروق الشمس»، أي آسيا.

الشواطئ الغربية من البحر المتوسط، وتخليداً لذكرى هذه الأميرة أطلق الفينيقيون واليونان اسمها على (قارة أوربا).

من الواضح أن هذه الأسطورة تُعبّر عن (مشكلة غياب الشمس)، أي اختطاف (الأميرة غوربا: غروب) نحو الشواطئ البعيدة في (الغرب: أوربا). ليس صدفة أنه حتى الآن اسم (الغرب، وأوربا الغربية) شائع. على هذا الأساس اتفق غالبية الباحثين على أن (اسم أوربا) كلمة سامية (أكدية ـ فينقية) تعني (أرض الغروب: الغرب: أوربا: عوربا: غوربا)[29].

وعكسها الكلمة السامية الأكدية (آسو: Assu)، بالعربي (واسا، اسّ: شيّد، رفع) بمعنى (شروق الشمس وارتفاعها)، ومنها أتت تسمية (آسيا)، وهي (عكس أوربا)، أي الجهة التي (تتأسس وترتفع) منها الشمس بالنسبة لشعوب (شرق) البحر المتوسط[30].

(الموالي) و(الأعاجم) و(الأنباط)[31]

الموالي: رغم طبيعة العرب المتفتحة وسهولة امتزاجهم مع غيرهم، إلاّ أنه بسبب تعصب الأمويين للعنصر وتحزّبهم القبائلي العربي، سادت تسميات تحقيرية ضد السكان الأصليين وخصوصاً في العراق، بسبب تمردهم الدائم ضد الأمويين.

(29) ـ في السنوات الأخيرة هنالك محاولات فاشلة (معادية للعرب)، لإعطاء (أصل هندوأوربي: يوناني) لاسم (أوربا) وتقسيمه إلى مقطعين، ويعني: (الوجه العريض)، لكن غالبية الباحثين لا يعترفون بهذا الأصل بسبب لا منطقيته.

(30) ـ عن الأصل الأكدي الفينيقي لاسم (آسيا)، طالع مثلا ويكيبيديا الإنكليزية:

ـ List of continent name etymologies:

It could derive from the borrowed Semitic root «Asu», which means varyingly «rising» or «light», of course a directional referring to the sunrise, Asia thus meaning 'Eastern Land'.

ـ والفرنسية (Asie) تقول نفس الكلام:

ـ La première mention connue du mot proviendrait d'une stèle assyrienne qui distingue les rivages de la mer Égée par deux mots phéniciens: Ereb, le « couchant », et Assou, le « levant ».

(31) ـ حول سكان العراق في هذه الحقبة وتنوع مسمياتهم وفئاتهم، راجع:

ـ هشام جعيط: الكوفة، بيروت 2005.

ـ لويس ماسينيون: خطط البصرة وبغداد، ترجمة إبراهيم السامرائي، بيروت 1981.

ـ محمد سعيد الطريحي: الديارات والأمكنة النصرانية في الكوفة وضواحيها، بيروت 1981.

ـ ياقوت الحموي، معجم البلدان.

فقد أشيعت تسمية (الموالي)[32] على العراقيين الأصليين (الآراميين) الذين اعتنقوا الإسلام واستعربوا من خلال (موالاة) إحدى القبائل العربية أو الارتباط بأحد الأشراف العرب، وهذا يعني حمل اسم تلك القبيلة أو الشريف العربي، وبهذا خلال بضعة أجيال أصبح غالبية العراقيين الأصليين مستعربين ويدعون بالانتماء إلى القبائل العربية المعروفة، مثل طي وتميم وخزرج وغيرها.

ـ أعجمي: إن المؤرخين المعاصرين أساءوا عمداً وجهلاً فهم كلمة (أعجمي) معتبرينها تعني (فارسي، إيراني)، وهي بالحقيقة تعني (الجاهل باللغة العربية)، (أعجم الكلام أي أعربه)، وقد شاعت في العراق خصوصاً حيث أطلقها العرب على كل العراقيين الذين كانوا يجدون صعوبة في تكلم العربية، لأن لغتهم الأصلية هي الآرامية (النبطية).

ـ النبط، كثيراً ما يتم الخلط بين استخدامين لهذه التسمية:

ـ نبط البتراء في الأردن الحالية ومملكتهم التي قامت بين (169ق.م ـ 106م)، وهم أول من أشيع عنهم هذا الاسم، وحسب مسمياتهم كانوا (عرباً) دون أن يتكلموا العربية، بل الآرامية، وكلمة (نبط) تعني (الحضر)، أي كل من (استنبط، استنبت الأرض) أي زرعها.. أي عكس البدو.

ـ أما (نبط العراق) فهي التسمية التي أشاعها العرب بعد الفتح، عن سكان العراق الناطقين بالسريانية، وليس هنالك تفسير واضح للسبب، ربما يقصدون بها الفلاحين (لأنهم يستنبطون، أي يستنبتون الأرض).

(32) ـ دراسة جيدة عن الموالي:
ـ دور العناصر غير العربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الاموي/ امجد ممدوح الفاعوري/ المجلة الاردنية للتاريخ

الفترات الثلاث الأساسية لهذه المرحلة

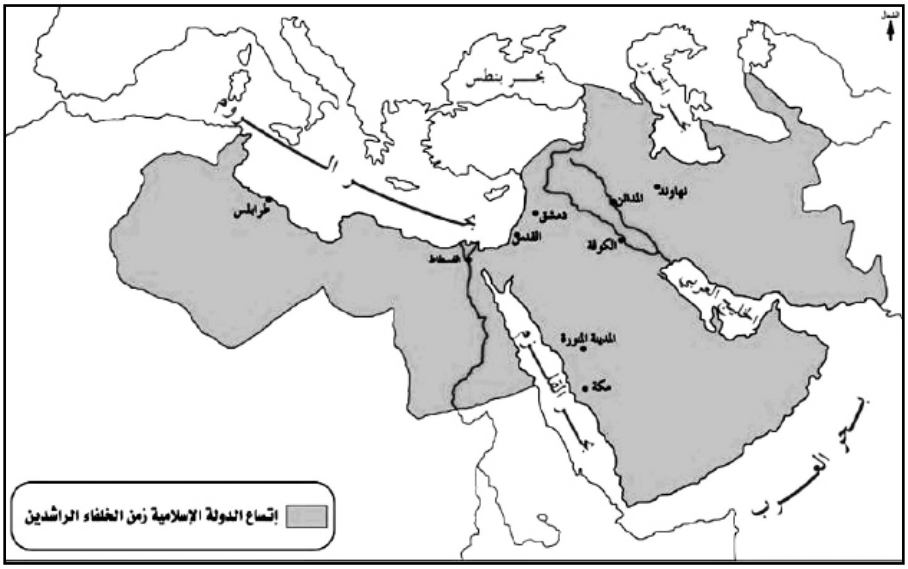

ان السائد والرسمي هو التقسيم الثلاثي: (الراشدية والاموية والعباسية)، لكن نحن نعتقد بأن هذه المرحلة تنقسم الى قسمين:

ـ فترة تأسيس الدولة ثم الامبراطوية التي دامت 120 عاماً. وقد بدأها (الخلفاء الراشدون: 632ـ 661 م). ثم أتمها (الامويون:661ـ 750 م)) الذين شيدوا اكبر امبراطورية عربية اسلامية تمتد من حدود الصين الى حدود فرنسا. وقد لعب خلالها الشاميون والحجازيون الدور القيادي المركزي في الفتوحات والتنظيمات. وخلالها ظل العراق تابعا لعاصمة خارجه: (المدينة ثم دمشق).

ـ فترة التدوين وتأسيس الحضارة وازدهارها في ظل الخلافة العباسية في (بغداد) والتي دامت خمسة قرون (750ـ 1258 م). وقد لعب خلالها العراق والعراقيون الدور المركزي والاعظم.

فيما يخص العراق، فإن فترة التأسيس تنقسم الى:

1 ـ الفترة الراشدية (632 ـ 661م)

وهي فترة الخلفاء الراشدين الأربعة الذين خلفوا النبي محمداً في قيادة الدولة الإسلامية الناشئة، ودامت قرابة ثلاثين سنة: (11 هـ ـ 41 هـ/ 632 م ـ 661 م)، وتسمى

أيضاً فترة (صدر الإسلام)، والخلفاء هم: (أبو بكر الصديق)، (عمر بن الخطاب)، (عثمان بن عفان)، (علي بن أبي طالب). كانت (المدينة المنورة) عاصمة الخلافة، إلى أن اتخذ الخليفة الرابع والاخير (علي بن أبي طالب) مدينة (الكوفة) في العراق عاصمة له. في عهودهم تمت الفتوحات وتوسعت دولة الإسلام إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية.

فتح العراق وتحريره من الاحتلال!

يصح اعتبار (الفتح العربي الاسلامي) نوعا من التحرير وليس احتلالا جديدا:

ـ لأن الفاتحين العرب سرعان ما امتزجوا بالسكان الاصليين، الذين مجرد ما إن يعتنقوا الاسلام حتى يشاركوا في ادارة بلدانهم، بل قيادة دول مسلمة مستقلة خاصة بهم، كما حصل في غالبية البلدان التي ساد فيها الاسلام.

منذ البدء، كان قادة الإسلام الحديث التكوين، يدركون أن دولتهم لن تنجح وتستمر إلّا بالاعتماد على شعوب شمال الجزيرة العربية، أي الشام والعراق ومصر. ففي هذه البلدان تمركزت الحضارة عبر التاريخ، ومن دون مشاركة هذه الشعوب لا يمكن أبداً لأي دين أن ينتشر ويصبح امبراطورية قوية وحضارة مزدهرة. ليس بالصدفة أن قادة الإسلام بمجرد أنهم فتحوا العراق والشام ومصر، حتى هجروا سياسياً وثقافيا جزيرتهم العربية، وجعلوا عاصمة الإسلام في الشمال: (الكوفة، دمشق، ثم بغداد.. الفسطاط.. القاهرة.. القيروان، إلخ).

لقد استمرت عمليات فتح العراق في زمن الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) حتى احتلال إيران وإنهاء الإمبراطورية الساسانية بصورة تامة حوالي 20 عاماً بين (633 ـ 651م)، وقد بدأت تلك الفتوحات عام 11هـ/ 633م في زمن الخليفة الأول (أبي بكر الصديق) وبقيادة (خالد بن الوليد)، الذي استكمل فتح العراق بالكامل، ثم انتقل خالد بعد ذلك إلى الجبهة الإسلامية الرومية بالشام لاستكمال الفتوحات، فتعرض المسلمون في العراق لهجوم مضاد من قبل الفرس مما أفقدهم ما فتحوه سابقاً.

معركة القادسية وفتح العراق

بدأت الموجة الثانية من الفتوحات تحت قيادة (سعد بن أبي وقاص) فانتصر المسلمون على الساسانيين في (معركة القادسية) التاريخية الحاسمة في 13 شعبان 15هـ/ 16 ـ 19 تشرين الأول 636م. فانتهى الوجود الساساني في العراق للأبد، وقد تم الاستيلاء على بابل، ثم فتحت (المدائن) العراقية التي تقع جنوب بغداد، وهي العاصمة الشتوية للدولة الساسانية في صفر 16هـ/ مارس 637 بعد حصار دام ثلاثة أشهر، ثم أرسلت الجيوش غرباً لفتح (قرقيسيا) و(هيت) وهما حصنان بيزنطيان لحماية الحدود، وتقدمت جيوش المسلمين لتحرير شمال العراق مما تبقى من الجيوش الساسانية.

وفي معركة (جلولاء) فتحت (تكريت)، أما (الموصل) فقد استجاب واليها الساساني للصلح ودفع الجزية، ثم تَمَّ التقدم إلى باجرمي (كركوك) وخانقين وشهرزور (السليمانية)، وانسحب الفرس إلى حلوان (حالياً في إيران عند حدود العراق الوسطى)، فحاصرها القعقاع حتى فتحها في ذي الحجة سنة 16هـ/ يناير 638م، واستمر تعزيز عمليات الفتح، فتمكن قائد البصرة (أبو موسى الأشعري) من إكمال فتح الجنوب بما فيه ميسان والأحواز.

كاد الاسلام ان يكون دينا عربيا خالصا، خاصا بشعوب «شرق البحر المتوسط»، مثلما الهندوسية خاصة بشعوب شبه القارة الهندية!

ان الواقع الجغرافي ـ السياسي، يؤكد معقولية هذا الاحتمال: بعد إكمال فتح العراق، توقف المسلمون أمام (جبال زاغاروس) الصعبة الشبيهة بالجدار العملاق، وهي افضل حدود طبيعية وسياسية فاصلة عن شعوب إيران وعموم آسيا:(الآرية والتركية والهندية) المختلفة كثيرا عن شعوب(شرق المتوسط) الناطقة بـ(اللغات السامية ـ الحامية) من جميع النواحي الاقوامية والثقافية والدينية. مثلما البحر المتوسط يشكل حدودا طبيعية بين اوربا والعالم الشرقي(العربي). وقد عبَّرت عن ذلك مقولة تاريخية تُنسب إلى عمر بن الخطاب:

(ليت بيننا وبين الفرس جبلاً من نار لا ينفذون إلينا ولا ننفذ إليهم): تاريخ الطبري 3: 176

معركة نهاوند ونهاية الدولة الفارسية

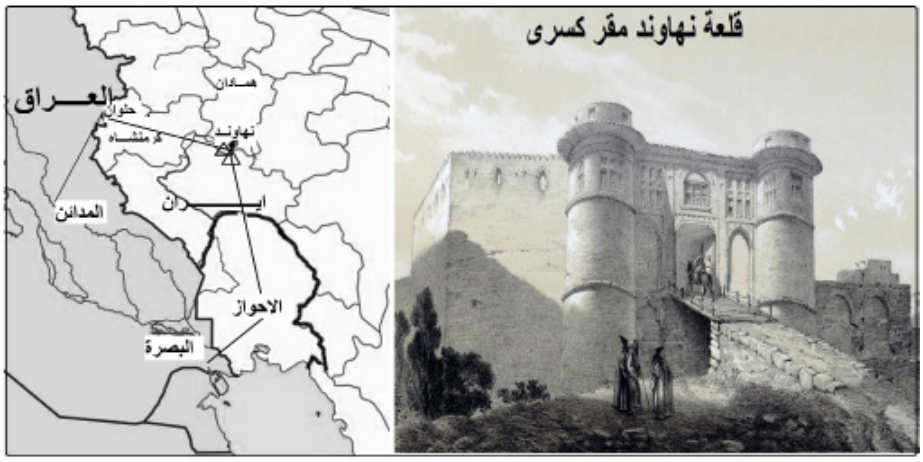

إن الخطأ القاتل الذي اقترفه قادة الدولة الفارسية، أنهم لم يرتضوا بفقدانهم العراق، بل أصروا على استرجاعه، لأنهم يدركون بسليقتهم التاريخية، أن إيران دون العراق، تجف روحياً وتفقد قواها الثقافية والحضارية، بالإضافة إلى أن العراق بوابتها نحو الشام حيث شواطئ البحر المتوسط.

لولا هذا الإصرار الساذج لبقيت إيران وعموم آسيا بعيدة عن الفتح العربي الإسلامي، ولتغير وجه التاريخ، ولأصبح الإسلام ديناً خاصاً في شرق البحر المتوسط، أي العالم العربي الحالي، ولكن (معركة نهاوند) التاريخية الشهيرة في 21هـ / 642م، التي حدثت في منطقة (نهاوند) القريبة من الحدود العراقية وبوابة الجبال حيث تم إلحاق الهزيمة بالفرس، عرفت بفتح الفتوح لأنها أجهزت تماماً على الإمبراطورية الساسانية وفتحت أبواب الهضبة الإيرانية وعموم آسيا لانتشار الإسلام، ولم يمضِ عام 23هـ / 644م حتى استكمل القضاء على تلك الإمبراطورية وفتح إيران بأكملها، وبعدها باقي آسيا: أفغانستان والسند وتركستان، حتى حدود الصين.

الخليفة (علي بن أبي طالب) رائد النهضة التاريخية العراقية

((قال علي عن أصل قريش: «نحن قومٌ من كُوثى». أراد كوثى العراق.. وهي سُرَّةُ السَّوادِ من مَحالِّ النَّبَطِ..)) ابن منظور في لسان العرب:2/ 182

هنالك حقيقة طالما تغاضى عنها المؤرخون بمن فيهم العراقيون: إن (علي بن أبي طالب) ليس فقط رمزاً دينياً لكل المسلمين والشيعة منهم خصوصاً، بل هو يستحق عن جدارة وموضوعية أن يعتبر من قبل جميع العراقيين بمن فيهم غير المسلمين، رمزاً وطنياً عراقياً والمشيّد الأول لنهضة العراق التاريخية بعد انقبار وظلام دام أكثر من ألف عام.

إن دوره في نهضة العراق يكمن في قراره الشجاع والتاريخي التالي:

التخلي عن الدور القيادي للحجاز ومكة بالذات، واختيار (العراق) كمركز للإسلام، وأن تكون (الكوفة) كعاصمة للخلافة بدلاً من (مكة)[33].

ففي 18 ذي الحجة سنة 35 هـ ـ 16/ 6/ 656 م تمت مبايعة (علي بن أبي طالب) خليفة بعد مقتل الخليفة الثالث (عثمان بن عفان). في 25 ذي الحجة 35 هـ ـ 23/ 6/ 656 م باشر الإمام علي مهامه كخليفة للمسلمين، حيث اختار (الكوفة) في العراق لتكون عاصمة الخلافة.

وهذا قرار خطير وجبار لصالح الإسلام عموماً والعراق خصوصاً، لأن (الخليفة علي)، بسليقته التاريخية وحكمته العميقة كان يدرك أنه لا نهضة تنبثق ولا حضارة تشيَّد في الشرق دون الدور الحاسم للعراق، (كذلك الشام ومصر)، وليس صدفة أن جميع المحتلين السابقين للعراق اضطروا إلى أن يتخلوا عن بلدانهم الأصلية ويجعلوا عاصمتهم في العراق: اليونان والإيرانيون اختاروا بابل ثم المدائن كعاصمة لهم[34].

ولم يكتف باختيار العراق كمركز للدولة الإسلامية الناهضة، بل قام بدور المصلح والمدافع عن كرامة العراقيين واستعادة حقوقهم المهضومة. فمن المعلوم أنه في عهد الخليفة الثالث (عثمان بن عفان) كانت أوضاع العراقيين الأصليين الآراميين (الأنباط الموالي) من غير العرب الذين دخلوا الإسلام واستعربوا، قد

(33) ـ كما يصح أن يعتبر الشاميون والمصريون الخليفة معاوية والسلالة الأموية رمزاً إيجابياً لأنهم اتخذوا من الشام ومصر مركزاً للإمبراطورية العربية الإسلامية الصاعدة.

(34) ـ عن انتقال الخليفة علي إلى الكوفة: تاريخ الطبري 5/ 579.

تردت رغم اعتناقهم للإسلام. لقد تفاقم سوء حالتهم عندما أرادت الأرستقراطية العربية أن تجعل من سواد العراق بستاناً لقريش. شرع القادة العسكريون في انتزاع أراضي العراقيين وسلب أرزاقهم واستغلال جهودهم دون رحمة، مما دفعهم إلى الانحياز إلى جانب (الخليفة علي) الذي أدخلهم في صفوف جيشه، إذ كان منهم ثمانية آلاف عراقي، وساوى بين الموالي والعرب في العطاء، وكتب إلى عمّاله يأمرهم بحسن معاملتهم[35]، بل زاد (الخليفة علي) في تقربه من العراقيين عندما صرَّح بأن قريش أصلهم من العراق، وذلك في قوله الشهير: (من كان سائلاً عن نسبنا، فإنا نبط من كوثى)[36].

وبعد انقسامات حادة بين المسلمين والمعارك بين الأمويين والعلويين، ثم بين (أنصار الخليفة علي) حيث انشق (الخوارج)، في يوم الجمعة 17 رمضان 40 هـ/ 23 كانون الثاني 660 م، تم اغتيال (الخليفة علي) على يد (عبد الرحمن بن ملجم) عند باب مسجد الكوفة. وفي 20 رمضان 40 للهجرة/ 26 كانون الثاني عام 660 م تمت المبايعة لـ (الحسن بن علي) خليفة، وانتهاء عصر الراشدين الذي اغتيل فيه ثلاثة خلفاء: عمر وعثمان وعلي، أما الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) فهو الوحيد الذي لم يقتل.

واحتاج العراقيون إلى أكثر من قرن من الانتظار والخيبات والنكسات على يد الأمويين، لكي ينضجوا أخيراً ويعدّوا مشروعهم الحضاري وحركتهم السياسية (العباسية ـ العلوية)، ليقوموا بثورتهم ويشيّدوا (الدولة العباسية) وعاصمتها (بغداد) لتحل محل (بابل) التي بقيت ذاكرتها دفينة في العقل الباطني، ليقودوا حضارياً النهضة الإسلامية وأكبر إمبراطورية عالمية لحوالي خمسة قرون.

***

(35) ـ عن رعاية الخليفة علي للموالي:
ـ كتاب الفتوح: جزء 4/ ص 149.
ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: جزء 7/ ص37ـ 42.
(36) ـ (ويعني كوفة العراق: راجع لسان العرب ـ حرف الكاف).

2. الفترة الأموية (661 ـ 750 م)

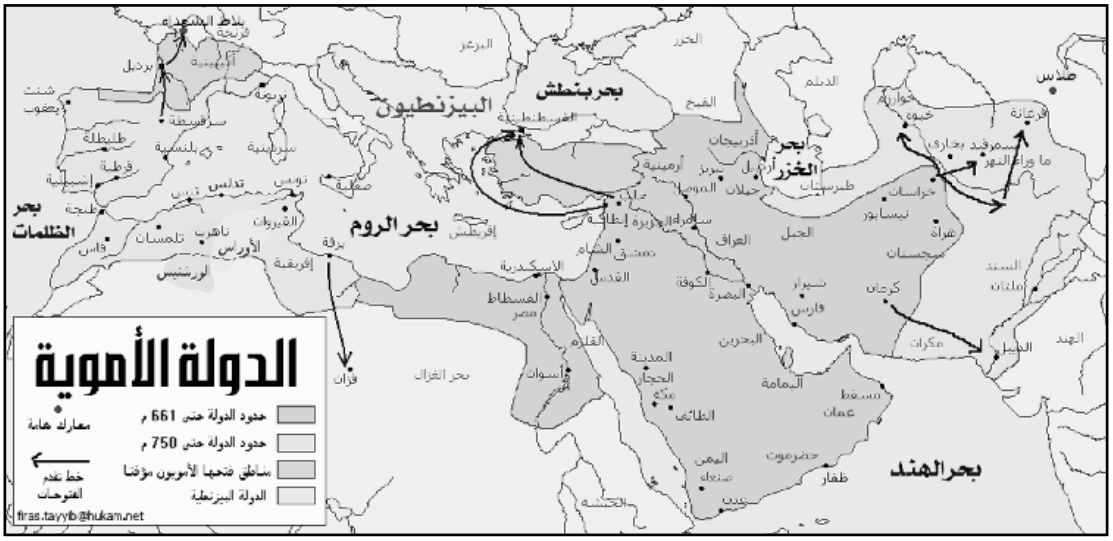

في عام 661 م، بعد اغتيال (الخليفة علي بن ابي طالب) في الكوفة، وتنازل الحسن عن الخلافة ومبايعته لـ(معاوية)، انتقلت الخلافة إلى العائلة الأموية في سوريا، وأصبح العراق ولاية تابعة للشام، بالرغم من كونه أغنى منطقة في العالم الإسلامي وبلد أكبر عدد من المسلمين. أنتج هذا الوضع شعوراً مستمراً لدى العراقيين بعدم الرضا من حكم الأمويين واتخذ هذا أشكالاً عديدة.

ثورات العراقيين وحركاتهم!

رغم وجود عاملين مهمين جمعا شعوب الإمبراطورية العربية الإسلامية في زمن الأمويين، ألا وهُما: (سيادة الدين الإسلامي) كدين لغالبية شعوب الإمبراطورية، ثم (سيادة اللغة العربية) كلغة رسمية وثقافية ودينية مقدسة في أنحاء الإمبراطورية، إلاّ أنهما ما كانا كافيين لفرض التوحد السياسي والحضاري، بل سرعان ما بدأت الخصوصيات الوطنية تفرض نفسها على الدولة الإسلامية. فكانت هنالك الخصوصيات: المصرية والشامية والأندلسية والمغربية والفارسية والتركية، وغيرها. كذلك طبعاً الخصوصية العراقية التي لعبت دوراً حاسماً في تغيير تاريخ الإسلام. فبسبب الظلم الاقتصادي والاجتماعي واستمرار فرض

الجزية على العراقيين رغم إسلامهم، واغتصاب أراضيهم من قبل القادة والأمراء العرب، وبالتالي استمرار ثوراتهم التي كانت تنتهي بالفشل وزيادة القمع والظلم، فقد توسعت الحركات المعارضة للهيمنة الأموية ولسيطرة الأقلية القبائلية العسكرية العربية.

قام العراقيون بعدة ثورات معروفة بالاشتراك مع الجاليات العربية المقيمة في العراق والتي عانت هي أيضاً من اضطهاد الأمويين:

ثورة الحسين: 61 هـ

بعد استشهاد (الخليفة علي) وقيام الدولة الأموية ساءت أحوال العراقيين، ولهذا حاولوا الاستعانة ب (الحسين بن علي بن ابي طالب) الذي أتى من المدينة إلى العراق للثورة ضد الأمويين. لكن في 10 محرم سنة 61 للهجرة ـ 9/ 10/ 680 م قتل (الحسين) ومعه أهل بيته في (كربلاء). رغم ان هذه الواقعة بشريا وعسكريا ثانوية جدا، إلا انها من الناحية المعنوية والعقائدية كانت واقعة تاريخية كبرى، منحت العراقيين الفرصة المنتظرة كي يخلقوا من واقعة (استشهاد الحسين واخوته وانصاره) اسطورة عاطفية عظيمة افرغوا فيها كل ميراثهم العقائدي والعاطفي عن: (موت «تموز» عطشا في لهيب الصيف) و (عذابات گلگامش حزنا على فقدان صديقه انكيدو، وخيبته بالعثور على الخلود)، و (عذابات المسيح على الصليب)..

ثورة التوّابين: 65 هـ

بعد (واقعة كربلاء) شرع العراقيون يندبون ويعلنون اعتذارهم من (الحسين) لخذلانهم له في كربلاء. ومن هنا بدأت (طقوس الندب واللطم) في العاشر من محرم كل عام. ثم تطورت هذه الحالة الشعبية الى حركة منظمة في (الكوفة) بقيادة الصحابي (سليمان بن صرد الخزاعي، الكوفي)، لتتحول الى اول (انتفاضة انتحارية) تطالب بثارات الحسين. ففي الثاني والعشرين من جمادى الأول 65 هـ، جرت في منطقة (عين الوردة في الشام) الحرب بين (التوابين) وجيش الشام، حتى مقتلهم جميعاً.

انتفاضة المختار الثقفي: 66 هـ

بعد (التوابين) بعام قامت حركة مطالبة بثارات الحسين والانتقام من قتلته بزعامة القائد العسكري (المختار الثقفي) المقيم في الكوفة. وتمكن من الاستقلال بالكوفة حتى 67 هـ، وانتهت بهجوم الامويين واستشهاد المختار الثقفي، واعدام المئات من انصاره.

ثورة عبد الرحمن بن الأشعث الكوفي، والمولى أبي علي الكوفي: 80 ـ 82 هـ

اشترك فيها من موالي الكوفة والبصرة أكثر من مائة ألف. علماً بأن (الموالي) هم سكان البلاد الاصليين الذين أصبحوا بموالاة وحماية عشيرة أو شريف عربي. ولهذا أمر (الحجاج) بإرجاع الموالي إلى قراهم وختم (بالنار) على يد كل مولى اسم قريته لكي لا يغادرها إلى المدينة.

ـ ثم شارك (موالي العراق: بثورات (الحارث بن سريج) و(أبي مريم) و(نافع بن الأزرق) و(عبيد الله الماحوز) و(قطري بن الفجاءة)، ثم ثورة (المختار الثقفي) الذي احتوى جيشه على عشرين ألف مولى عراقي.

الحركات العقائدية والسياسية المعارضة

طبعاً إن الحركات الشيعية والمعارضة كانت بأغلبية ساحقة من الموالي العراقيين بالإضافة إلى الجاليات العربية، ولقد ساهمت الجاليات العربية المستوطنة والتي أصبحت عراقية مع الزمن، بصورة فعّالة في قيادة وتنظيم هذه التيارات والتي تجلَّت فيما بعد بالتيارات التالية:

ـ مذهبيا بـ (الحركة الشيعية) التي تقدّس الإمام علي كرمز للعدل والحكمة، وتهتدي بثورة ابنه الحسين، كرمز للشهادة والتضحية.

ـ سياسياً بـ (الحركة العباسية) التي يقودها أحفاد (العباس) عم النبي، وتدعو إلى عودة الحكم إلى (بني هاشم)، ولجأت إلى التنظيم السري والإعداد الفعلي للثورة.

ـ ثقافياً بـ (الحركة الشعوبية) (أهل التسوية)، وكلمة (شعوبية) تعني حرفياً

(العالمية والأممية)، أي المساواة بين الشعوب، وكانت خصوصاً بين المثقفين حيث تنشر الأفكار التي تدعو إلى المساواة بين السكان الأصليين مع العرب الحاكمين.

جميع هذه الحركات كانت عراقية أصيلة، لأنها نشأت ونشطت في العراق ومؤسسوها وقادتها من أهل العراق، لكنها فيما بعد انتشرت وأثَّرت في الفرس والتركستان، وغيرهم.

***

3 ـ الفترة العباسية (750ـ 1258م)

ودور العراق والعراقيين بانطلاقة الحضارة العربية الاسلامية

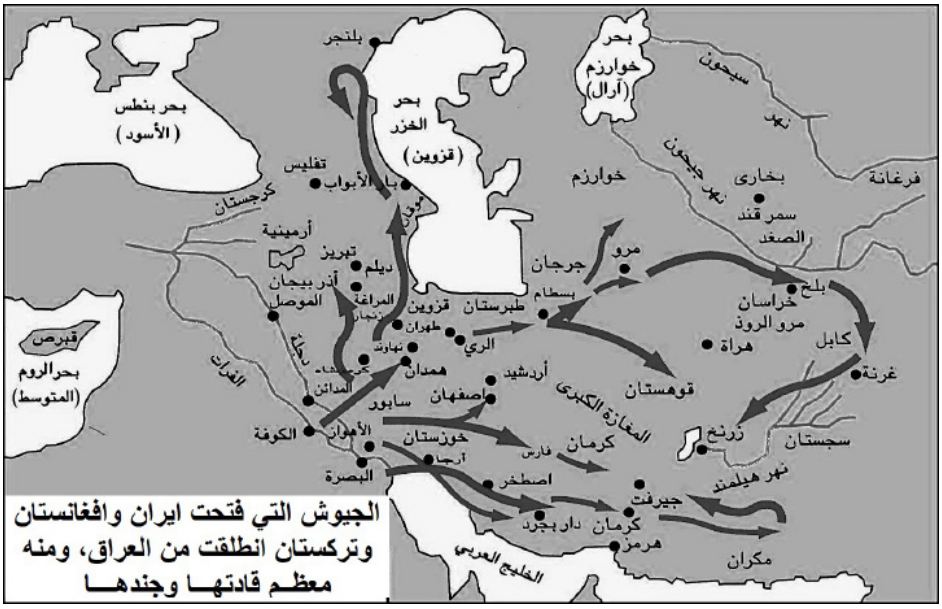

ان دور العراقيين بفتح بلدان آسيا، قد لعب دورا حاسما في تاريخ هذه المرحلة. حيث بقيت الجاليات العربية العراقية على علاقة مباشرة مع مجريات بلدهم. ومن هنا يكثر الحديث عن (دور الخراسانيين) وهم في الحقيقة بغالبيتهم من عرب العراق.

في أوائل القرن الثامن الميلادي، تمكن العراقيون وبعد ثورات وتمردات لا تحصى، وبقيادة (التحالف العلوي العباسي) من إسقاط الدولة الأموية وتكوين الدولة العباسية.

يتوجب التأكيد بأن الحركة العباسية لم تكن حركة (سنية) ولا (شيعية)، بل هي (هاشمية)، أي البيت الهاشمي نسبة إلى (هاشم) جد النبي محمد، ويضم (البيت العلوي) نسبة إلى الإمام علي، و(البيت العباسي) نسبة إلى (العباس) عم النبي. إن مفهوم (السنَّة) بالمعنى المذهبي والطائفي لم يكن موجوداً في ذلك الحين، فجميع المذاهب الإسلامية تنتمي إلى (القرآن والسنَّة النبوية). والانقسامات لم تكن (سنية ـ شيعية) بل سياسية. هنالك (الأمويون)، وهم أنصار الحكم الأموي، ثم (الهاشميون). بالإضافة إلى مذاهب شتى مختلفة مثل المرجئة والخوارج. أما (الشيعة) فكانوا حركة سياسية ملتفة حول البيت العلوي، ولم يشكّلوا حركة مذهبية فقهية إلاّ في بدايات الدولة العباسية في أيام (الإمام جعفر الصادق)، وتلميذه العراقي (هشام بن الحكم).

انتصار التحالف الهاشمي (العباسي ـ العلوي) وقيام الدولة العباسية

رغم أن العراقيين كانوا هم قادة ومؤسسي الحركة العباسية ـ العلوية، إلّاّ أنَّ ظروف العراق وقسوة الأمويين وتشددهم في القمع والسيطرة، حتَّم أن تكون قيادات الحركة خارج العراق. إذ كان مقر قيادة الحركة العباسية، في الأردن، ولها فرعان رئيسيان، واحد في الكوفة بقيادة (أبي سلمة الخلال الكوفي)، ثم في خراسان (حالياً مقسمة بين أفغانستان وإيران وتركمانستان) بقيادة القائد العراقي الكوفي (أبي مسلم الخراساني). وظل العمل مستمراً من قبل الدعاة العباسيين حتى كانت ليلة الخميس الخامس والعشرين من رمضان سنة 129هـ، إذ ظهر العباسيون براياتهم السوداء وأعلنوا الثورة على الدولة الأموية. انطلقت الجيوش العباسية بقيادة (أبي مسلم الخراساني وقحطبة بن شبيب)، تزحف على ولايات الدولة الأموية وتستولي عليها. وبمرور الوقت دانت كل المدن الأموية للعباسيين من أقصى الشرق حيث كابول، وأقصى الغرب حيث قرطبة وإشبيلية، مروراً بالقدس والخليل والرها وغيرها.

(الأردن. قرية الحميمة) مقر القيادة السرية العباسية وميلاد الخلفاء الأوائل!

من المعلوم والمتفق عليه أن مقر القيادة السرية العباسية كان في (الأردن) في (قرية الحميمة) حيث مقر (محمد بن علي العباسي) مؤسس الحركة العباسية، وكذلك ولد فيها: (أبو العباس السفاح) أول الخلفاء. كذلك ابنه الخليفة الثاني ومشيّد (بغداد) (أبو جعفر المنصور)، ثم ابنه الخليفة الثالث محمد بن عبد الله (المهدي) مؤسس حياة الترف والبذخ والتمتع في المجتمع البغدادي والعباسي.

أكذوبة قيادة الفرس للدولة العباسية

ان الخطأ السائد يتمثل بتوهم الكثيرين بأن (خراسان) هي(ايران). بينما هي في الحقيقة لا تشمل سوى مدينة واحدة منها: (نيسابور، وهي نفسها منطقة «طوس» و«مشهد»)، أما قسمها الاكبر فيشمل افغانستان حيث مدينتا (بلخ وهرات)، وتركمانستان حيث (مرو: عاصمة خرسان)، واوزبكستان حيث(بخارى).

هنالك أكذوبة خيالية بعيدة تماماً عن الوقائع التاريخية، ظهرت في العصر الحديث، تدَّعي بأن الدولة والحضارة العباسية قد قامت بفضل الفرس وظلت خاضعة لهم. هذه بعض الشواهد التي تدحض ذلك:

1. مشكلة الدولة الأموية، لم تكن مع (الفرس)، بل مع (العراقيين)!

إن مشكلة الامويين تكمن في عدم قدرتهم على التواؤم مع التطورات الاقوامية والثقافية والعقائدية الجديدة لمجتمعات الامبراطورية الممتدة من حدود فرنسا الى حدود الصين. لم يفهم الامويون حقيقة أن العرب كانوا أقلية عددية في هذه الإمبراطورية الشاسعة، ولا يمكن الإبقاء على سياسة التفضيل ضد غير العرب. ثم ان غالبية حركات المعارضة والثورات، كما رأينا، كانت بقيادة او مشاركة العرب.

ان أول تمردات وانفصالات الفرس بدأت ضد العباسيين، وليس قبلهم:

هنالك ادلة كثيرة ومن مؤرخين ايرانيين، بأن (الفرس) قد رحبوا بالدين الجديد ودخلوه بسهولة، حيث ابقى الامويون على الاداريين الفرس الذين كانوا لدى (الدولة الساسانية) المنتهية، وهم الذين اشرفوا فعليا على فرض الدولة الاسلامية ونشر دينها.[37] أي ان الحقيقة هي العكس تماما: ان اولى حركات وثورات الفرس بدأت بعد نهاية الأمويين وقيام الحكم العباسي في العراق، ابتداء من (ثورة بابك الخرمي) في عهدي المأمون والمعتصم، ثم قيام (الدولة السامانية) كاول دولة يحكمها فرس، على (اجزاء من ايران وافغانستان وتركمانستان) منفصلة عن حكم العباسيين. [38]

إن العراقيين بطبيعتهم العالمية ولتحول غالبية سكانه الاصليين (السريان: النبط: الموالي) الذين استعربوا ودخلوا الاسلام، قد ساهموا بصورة فعالة مع (النخب العربية من الصحابة والتابعين) في التمردات والثورات ضد الامويين، منذ الحروب بين (الخليفة علي) و (معاوية) و (ظهور الخوارج) في العراق، ثم (واقعة كربلاء) وثورات التوابين والمختار، والعديد من الثورات العراقية، طيلة الحكم الاموي. ثم اصبح (العراق

(37) ـ عن تعاون الفرس مع العرب، يقول المؤرخ القومي الايراني(محمد القزويني):
((ان خونة الفرس من اولياء الامور حكام الولايات ومحافظي الحدود الايرانية حينما شعروا بتضعضع في اركان الدولة الساسانية وهزيمة الجنود الفرس امام الاسلام مرتين او ثلاثا، طرحوا بأنفسهم في جحور العرب المسلمين، ولم يكتفوا بمساعدتهم في فتوحاتهم فحسب، بل دعوهم الى الاستيلاء على سائر الاراضي الايرانية التي كانت تحت سلطتهم مما لم يكن العرب بعد دخلوها، وكانوا يقدمون لهم مفاتيح القلاع والخزائن مقابل استمرار حكمهم على تلك النواحي التي كانت بايديهم قبل دخول المسلمين)).
كتاب: الاسلام وايران ـ آية الله مرتضى المطهري ـ جزء اول ـ ص 88

(38) ـ منذ بدايات العصر العباسي، بدات تظهر الدويلات شبه المستقلة او المستقلة عن العاصمة بغداد:
الدولة الطاهريَّة821 ـ 873/ الدولة السامانيَّة819 ـ 999/ السُلالة الصفاريَّة867 ـ 1002

ـ الكوفة) مركز قيادة الثورة والتنظيم السري (العباسي ـ العلوي). حتى تمكنوا بعد أقل من قرن من اسقاط (الدولة الاموية) وتأسيس (الدولة العباسية) في بلادهم.

2. حقيقة دور (الخراسانيين) في الحركة العباسية

المسألة المهمة ان سكان (خُراسان) ليسوا من الفُرس فقط، وإنما غالبيتهم من الأتراك، فهذه المنطقة كانت تشمل ما يقع الآن في (غالبية بلاد الأفغان)، وجزء من (شرقي إيران)، وبلاد (تركمانستان). إن هذه المناطق تضم اليوم سكاناً من الترك بأكثريتهم، وكذلك كانت يومذاك، وإن ضمت ـ إضافة إلى ذلك ـ مجموعاتٍ من الناطقين بالفارسية. بالاضافة الى ذلك ان الحركة العباسية، تركزت أساساً بين (عرب خراسان) حكام المنطقة. هذه النخب العربية الحاكمة كان لها الدور الأول في الحركة العباسية، وإن الحديث عن (دور الخراسانيين في الحركة) لا يعني أبداً (دور الفرس) بل (دور عرب خراسان) بالاضافة الى أنصارهم من الخراسانيين[39].

3 . أبو مسلم الكوفي الخراساني، قائد كوفي عراقي[40]

وهو ضمن الحجج الاساسية لمؤرخينا المعاصرين.هو القائد العباسي الشهير الذي

(39) ـ من المعلوم إن الكثيرين من أهل العراق قد توطنوا في (خراسان وعموم بلدان آسيا المسلمة)، من خلال الجيش الاسلامي الذي فتحها، لانه كان قادماً من العراق وبقيادة (القائد البصري قتيبة بن مسلم) وغالبية جيشه من أهل العراق، وهم الذين نشروا الاسلام والعربية.
ـ (قتيبة بن مسلم) من أعظم الفاتحين المسلمين، ولد في البصرة سنة 49 هـ لأسرة من قبيلة باهلة النجدية. ولاّه عبد الملك بن مروان الري وخراسان التابعة لوالي العراق (الحجاج). ومن خراسان سنة 86هـ شرع بفتح بلاد ما وراء النهرين (تركستان)، وعاش فيها ثلاث عشرة سنة ومات هنالك وقبره في (اوزبكستان)!

(40) ـ إن شخصية (أبي مسلم الخراساني) نموذج ساطع على تعقيد حكاية النسب والأصل، حيث اختلف المؤرخون في أصله، مع اتفاقهم الكامل أنه: نشأ وتعلم في الكوفة في عائلة كوفية عربية، وأصبح في شبابه ممثلاً للحركة العباسية في خراسان تلبية لطلب عرب خراسان من أنصار الحركة، ولهذا السبب قد حمل لقب (خراساني) وليس لأنه خراساني، بل هو كوفي عراقي. طالع ماذا يسجل (ابن كثير) عن هذا الاختلاف حول أصله واسمه الكامل، في (موسوعة البداية والنهاية)، ابن كثير الدمشقي ـ الجزء العاشر:
ـ لقد كرس (ابن كثير) في (البداية والنهاية) مبحثاً خاصاً في اختلاف المصادر في أصل (ابي مسلم):
قال الخطيب: يقال له: (عبد الرحمن بن شيرون بن إسفنديار، أبو مسلم المروزي) ان (مرو) في تركمانستان.
وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ أصبهان: كان اسمه: (عبد الرحمن بن عثمان بن يسار)، قيل: إنه ولد بأصبهان.
وقيل: كان اسمه: (إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس بن حوذون)، ولد بزرجمهر، وكان يكنى: أبا إسحاق، ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما بعثه (إبراهيم بن محمد الإمام) إلى خراسان قال له: غير اسمك وكنيتك.
ـ ابن كثير/ البداية والنهاية/الجزء العاشر/أبو مسلم الخراساني

قاد الجيوش من خراسان (الأفغانية التركستانية الإيرانية) وإسقاط الدولة الأموية. اتفق المؤرخون أن اسمه (اسحاق) وأن أصله غير متفق عليه، ولكن المؤكد والمتفق عليه أنه عراقي النشأة والتربية، حيث عاش وكبر في (الكوفة) في عائلة العجلي العربية حيث تعيش أمه الخادمة. قيل: إن أمه كانت تعيش سابقاً في أصفهان الإيرانية، وليس هنالك أي تأكيد على أن له أصلاً (خراسانيّاً) ولكنه حمل هذا اللقب بعد أن تم إرساله من قبل الحركة العباسية إلى (خراسان) لنشر الدعوة فيها: (فلما بعثه إبراهيم بن محمد الإمام، إلى خراسان قال له: غير اسمك وكنيتك).[41]

4. العباسيون أقاموا دولتهم في العراق (بغداد) وليس في ايران!

ظلت (بغـداد) عاصمـة الخلافة العباسية لحوالي خمسة قرون، وظل العراقيون من العرب والمستعربين (الموالي) العنصر الفعّال والقيادي في هذه الدولة. فلو كان للفرس هيمنة ونفوذ على القرار العباسي لكان من الطبيعي أن يكون مركز الخلافة هو إيران، وليس العراق. والدليل ان الدويلات الايرانية التي نشأت حينها في ايران كانت عواصمها في ايران نفسها، مثل: (الطاهرية: نيسابور/ البويهية: شيراز). كذلك كانت الخلافة العثمانية كانت تركية؛ لأن عاصمتها ظلت دائماً (إسطنبول) لحوالي خمسة قرون، والخلافة الفاطمية كانت مصرية لأن عاصمتها (القاهرة).

5. حقيقة النفوذ الفارسي على الخلافة؟

خلال خمسة قرون من عمر خلافة بغداد، خضع الخليفة العباسي لنفوذ القوى التالية:

- العصر العباسي الأول (750-833): سيطرة عربية عراقية خالصة.[42]
- العصر العباسي الثاني (833-945) نفوذ الاتراك وتشييد (سامراء) لهم.
- العصر العباسي الثالث (945-1055) نفوذ بويهي ايراني

(41) - نفس المصدر السابق

(42) - من بين العديد من الحجج عن تأثير الفرس، ان الخليفة المأمون من (أم) فارسية. ولكن المصادر تؤكد انها من منطقة (Bādghīso: بادغيس) في افغانستان عند حدود تركمانستان لا يتكلمون الفارسية. واسمها(مراجل) وقد ماتت بعد الولادة. طالع مثلا ويكبيديا بالانكليزية:

Al _ Ma'mun

ـ العصر العباسي الرابع (1055 ـ 1136) نفوذ السلاجقة الاتراك

ـ العصر العباسي الخامس (1036 ـ 1258) استقلال الخليفة بالعراق

علماً، بأن جميع هذه الانواع من النفوذ ظلت فقط في الناحية السياسية العسكرية، ولم تمس حتى الجهاز الاداري الذي بقي بين مواطني كل بلد مسلم، وفي العراق ظل بيد العراقيين[43]. أما الحياة الثقافية والاجتماعية في العراق، فلم تتأثر بهذه المتغيرات العسكرية في الخلافة، إلاّ في حالات محدودة، كما حصل مع (الاتراك) إذ اضطر (الخليفة المعتصم) أن يشّيد لهم (مدينة سامراء) ليبعدهم عن (بغداد). هكذا بقيت حواضر العراق: (بغداد والكوفة والبصرة والموصل) مزدهرة بالثقافة واللغة العربية ومختلف نواحي الفنون والابداع الحضاري.

البويهيون الشيعة الزيدية، والحروب الشيعية الشيعية!

البويهيون (945 ـ 1055م): وينتمون إلى (بويه) من الديلم في جنوب غربي بحر قزوين شمال إيران، وهم من الأقوام الجبلية المحاربة ومختلفون عن الفرس، بل مزيج من الآريين والأتراك. في عهد (معز الدولة البويهي) عام 945 م ودخلوا (بغداد) وبسطوا نفوذهم ولم يبقوا للخليفة سوى نفوذه الاسمي. رغم أن البويهيين كانوا على المذهب الزيدي الشيعي، إلاّ أنهم رفضوا إعطاء الخلافة للشيعة خوفاً من سيطرتهم عليها. بل هم تحالفوا مع (خلفاء بغداد) وحاربوا جميع الدول والحركات الشيعية الرافضة لحكم العباسيين: (الدولة الحمدانية الشيعية: 930 ـ 1003) في الموصل وحلب، (الدولة الفاطمية الشيعية: 909ـ 1171) في مصر، (حركة القرامطة 908) الشيعية الاسماعيلية في جنوب العراق والخليج العربي. وقد اضطربت أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ولم تنفع محاولات الخلفاء، حتى اضطروا أخيراً للاستعانة بالسلاجقة الترك.

(43) ـ مثلاً، إن اسرتي (البرامكة) و(بني سهل) المتنفذتين في بغداد، ما كانتا (فارسيتين)، بل في الأصل من (افغانستان ـ بلخ) و(تركمانستان ـ مرو)، ثم توطنوا في العراق وانجبوا أبناءهم في بغداد، حيث نشأوا واستعربوا وتعلموا واصبحوا من أهل البلاد.

عصور الدولة العباسية

بعد مرور قرن من قيام الدولة العباسية، بدأت تتكون دول مستقلة في المشرق والمغرب، حتى انتهى الامر بأن اصبح الخليفة لا يحكم فعليا سوى العراق.

يمكن تقسيم العصر العباسي إلى حقب بحسب القوة العسكرية والسياسية المتنفذة:

العصر العباسي الأول (750. 833)

وقد حكم هذا العصر سبعة خلفاء، لأقل من قرن، وهو العصر الذهبي من الناحية السياسية والحضارية، ويستحق أن نسميه: (العصر الإمبراطوري الحقيقي)، حيث كان (خليفة بغداد) هو الحاكم الفعلي للإمبراطورية الممتدة من حدود الصين إلى بلاد المغرب، وخلاله تم ضبط أسس الدولة والحضارة من خلال تشييد (بغداد) لتكون أعظم مدينة حضارية في التاريخ لمدة خمسة قرون.

1. أبو العباس السفاح 750 ـ 754
2. أبو جعفر المنصور 754 ـ 775
3. أبو عبد الله محمد المهدي 775 ـ 786
4. أبو محمد موسى الهادي 786 ـ 787
5. هارون الرشيد 787 ـ 809
6. الأمين 809 ـ 814
7. المأمون 814 ـ 833

الاصل البابلي لمدينة بغداد!

يبدو أن اختيار (الخليفة المنصور) لمكان تشييد بغداد، قد تم على انقاض بلدة قديمة ورد اسمها في أكثر من وثيقة بابلية يعود تاريخها الى عصر الملك البابلي حمورابي بحدود العام 1700 قبل الميلاد، بالكتابة المسمارية: (بكدادو، بكدادا) ويكتبان بالمقاطع المسمارية (باك ـ دا ـ دو) و(باك ـ دادا). وتكرر الاسم بعد قرون منقوشاً على حجر (كودورو) من عهد الملك الكاشي. ثم تكرر مجدداً بصيغة (بغدادو ـ بغدادا) في الوثائق الاشورية ما بين (1300 ـ 900) قبل الميلاد وظل هذا الاسم بالهيئة التي نعرفها الآن في وقتنا الحالي!

في عام 1848 جرت تنقيبات سريعة في بغداد وتحديداً في منطقة الكرخ إثر مشاهدات القنصل البريطاني في بغداد «السير هنري رولنسون» بعد هبوط منسوب نهر دجلة، فشوهدت بقايا جدار مشيد بالآجر ومغطى بالقار، إحداها مختومة باسم الملك البابلي (نبوخذ نصّر). هذا دليل على وجود مستوطنة أو قرية بابلية تحمل اسم بغداد. وتم تأييد هذا الاكتشاف لاحقاً (بحدود 1889 م) بسلسلة من التنقيبات[44].

فترات النفوذ التركستاني والايراني في الخلافة

بعد العصر العباسي الاول، أتت عصور ثلاثة متتالية دامت حتى نهاية الخلافة على يد المغول في 1258، وكل عصر منها دام حوالي القرن، أي مجموعها ثلاثة قرون. قرنان منهما تحت النفوذ التركستاني، وقرن واحد تحت النفوذ الايراني البويهي، وقد تميزت بـ:

(44)ـ عن الاصل البابلي لاسم بغداد:
ـ كتاب من تراثنا اللغوي القديم/ د. طه باقر
ـ كتاب مقدمة في تاريخ الحضارات/ طه باقر/ جزء 1

ـ تحول دولة الخلافة عملياً إلى (دولة عراقية إدارياً وجغرافياً)، بسبب فقدان الخلفاء السيطرة العسكرية الفعلية على باقي أنحاء الإمبراطورية. فرغم بقاء (بغداد) المركز الحضاري الأكبر والأول للإمبراطورية جمعاء، إلاّ أنها بدأت تفقد سيطرتها الإدارية على غالبية البلدان الإسلامية. حيث راحت تظهر دول مستقلة عملياً عن الخلافة في مختلف أنحاء الإمبراطورية: مثل الأموية في الأندلس، والطولونية والفاطمية والأيوبية في مصر، والأدارسة والتغلبية وغيرها في المغرب، والسامانية والغزنوية والبويهية والسلجوقية في آسيا (إيران وأفغانستان وتركستان). بل هنالك دويلات شبه مستقلة ظهرت حتى في العراق، مثل الحمدانية والقرمطية والزنج وغيرهم. وقد تنوعت القوى العسكرية المتنفذة في الدولة حسب العصور الثلاثة، كالتالي:

العصر العباسي الثاني (833 ـ 945)

امتاز بالنفوذ التركي الذي بدأ مع الخليفة المعتصم، وقد حكمه 14 خليفة، ابتداء من (المعتصم بالله) وأخيراً (المتقي بالله).

بروز الترك: كما حصل في جميع الإمبراطوريات في أنحاء العالم، فإنها تنشأ على يد جماعات رعوية محاربة قادرة على الاجتياح والانتصار، ثم بعد ذلك يستقر هؤلاء الرعاة المحاربون ليتمتعوا بانتصارهم وازدهار دولتهم، فيفقدون مع مرور الأجيال روحهم الحربية الصارمة، فينتشر الكسل والتخمة والفساد، وتضعف الدولة، فتستغل جماعات رعوية أخرى هذا الضعف لكي تجتاح الدولة وتبني دولة أخرى، وهكذا دواليك.

هذا بالضبط حصل أيضاً للعرب؛ في العراق خصوصاً بدأوا يفقدون روحهم الحربية بسبب تمتعهم بخصب النهرين ومُتَع وجماليات المجتمع العراقي، لهذا ما كان من قادة الدولة العباسية إلاّ الاستعانة بجماعات جديدة لم تزل محتفظة بالروح الحربية، وبما أن أهل العراق لهم علاقات تاريخية عريقة مع أتراك وسط آسيا، تعود إلى قرون قديمة منذ سومر وبابل وآشور، بل إن المبشرين المسيحيين والمانويين العراقيين كانوا نشيطين بين الترك قبل الإسلام. كذلك فإن الجيش الإيراني الساساني في العراق كان جزء كبير منه من أصول تركية، ثم إن فتح آسيا الوسطى في زمن الحجاج تم بجيش

عراقي، وقد استوطن العراقيون بين الترك وعاشروهم، وكانت الحجة لجلب الأتراك إلى العراق، هو أن (الخليفة المعتصم) من أم تركية، أي أن الأتراك أخواله.

تشييد سامراء للترك

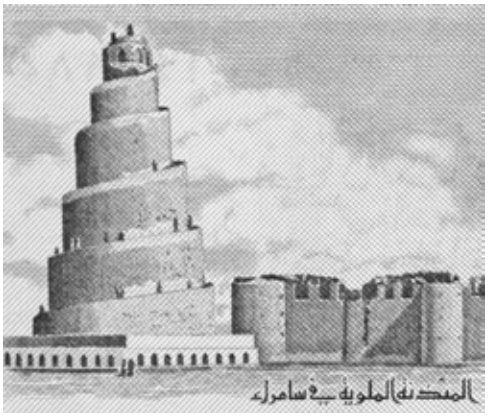

من أجل تجنب المواجهة بين المدنيين والعسكر، بادر (المعتصم) إلى إيجاد عاصمة جديدة في سامراء، على أرض دير مسيحي قديم يطلق عليه بالآرامي تسمية (شمرا). كان موقعاً على دجلة حوالي 100 ميل إلى الشمال من بغداد. إن اسمها مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون والبابليون باسم (سومورم sumurim) أو باسم (سورمارتا)[45]. تم تشييد مدينة سامراء بقصور ومساجد، وشوارع عريضة ومستقيمة، وبيوت مبنية بنظام موحد، ثم وسَّعها بعده الخليفة المتوكل (847 ـ 861). أصبحت سامراء مدينة واسعة ولكنها تفتقر إلى الخصائص الطبيعية التي تتمتع بها بغداد، فإن المواصلات النهرية، والقناة التي تربطها بالفرات وجنوب العراق كانت أكثر صعوبة، وبالرغم من الاستثمار الهائل فإن تجهيز الماء كان دائماً غير كاف. احتفظت سامراء بمكانتها فقط عندما كانت عاصمة الخلافة، من 836 ولغاية 892.لقد انتعشت سامراء، وكذلك استمرت بغداد بالانتعاش تحت حكم عائلة الطاهري، وبقيت البصرة مركزاً تجارياً عظيماً على الخليج.

(45)ـ حول أصل تسمية سامراء:
ـ السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج 2، ط1، بغداد، سنة 1971م، ص146.
ـ موسوعة العتبات المقدسة، المدخل وج 12، ط 2، بيروت، سنة 1987.
ـ العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء:
يقول أنستاس الكرملي: (أما اسم المدينة فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم في التاريخ، فقد ذكره المؤرخ الروماني أميانوس مرسيلينوس الشهير الذي ولد سنة 320م وتوفي سنة 390 بصورة (سومرالsumeral)، ونوه به زوسميس المؤرخ اليوناني من أبناء المائة الخامسة للمسيح صاحب التاريخ الروماني بصورة (سوما souma).
وهناك رأي للدكتور مصطفى جواد قريب من هذا في تخريج اسم سامرا فيقول: (سامرا اسم آرامي وهو في أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل: كربلا، وعكبرا، وحرورا، وباعقوبا).

العصر العباسي الثالث (945 ـ 1055)

سيطر فيه النفوذ البويهي (الإيراني) حيث خضعت الخلافة للقوة العسكرية الجديدة، وقد حكم خمسة خلفاء. البويهيون (945 ـ 1055م): وينتمون إلى (بويه) رجل من الديلم الذين يسكنون جنوب غربي بحر قزوين شمال إيران، وهم من الأقوام الجبلية المحاربة ومختلفون عن الفرس، بل مزيج من الآريين والأتراك، وفي عهد (معز الدولة البويهي) تقدموا في عام 945 م بجيش إلى العراق ودخلوا بغداد وبسطوا نفوذهم ولم يبقوا للخلافة سوى نفوذها الاسمي. رغم أن البويهيين كانوا على المذهب الزيدي الشيعي، إلاّ أنهم رفضوا إعطاء الخلافة للشيعة خوفاً من سيطرتهم عليها، وقد أشاعوا الفتن والاضطرابات ليشقوا الوحدة الاجتماعية ويضمنوا استمرار احتلالهم، كما فرضوا الرقابة على الحياة الفكرية، وقد اضطربت أحوال العراق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ولم تنفع محاولات الخلفاء، حتى اضطروا أخيراً للاستعانة بالسلاجقة الترك.

العصر العباسي الرابع 1055 ـ 1136

وفيه سيطر السلاجقة الترك، بعد أن دخل (طغرل بك) مدينة بغداد بطلب من الخليفة للتخلص من الخطر الشيعي البويهي والفاطمي، إذ كان السلاجقة متعصبين للإسلام السنّي. وهم من القبائل التركستانية التي انتشرت في الشرق الاوسط بفضل دورها في محاربة الصليبيين. وقد اسسوا دولتهم في آسيا الوسطى (تركانستان) بقيادة (طغرل بك)، ثم توسعوا في ايران. وقد استعان بهم الخليفة (القائم بأمر الله) للتخلص من خطر قوتين شيعيتين: الدولة البويهية الشيعية الزيدية التي سيطرت على خليفة بغداد، وكذلك الدولة الفاطمية الشيعية الاسماعيلية في مصر والشام، التي تعمل على اسقاط الخلافة. فدخل (طغرل بك) بغداد عام 1055 ثم قام بإخماد عصيان في العراق من قبل «البَساسِيرى» أحد انصار الفاطميين في مصر. وفي زمن (ألب أرسلان: 1060/ 63 ـ 1072 م) برز الوزير المصلح الشهير (نظام الملك) الذي شيد المدرسة النظامية في بغداد. وقد تمكن السلاجقة من السيطرة على أرمينية والشام والحجاز وفلسطين منذ 1070 م. كما حققوا انتصارا حاسما على البيزنطيين في (معركة ملاذكرد

سنة 1071 م). وكالعادة بسبب كثرة المتسابقين على عرش السلطنة بين أفراد العائلة، انقسمت المملكة ممالك عدة متصارعة. وقد انتهى نفوذهم على العراق عام 1136، ثم انتهوا تماما حوالي 1194على يد (الخوارزم) الاتراك مثلهم.

العصرالعباسي الخامس (1136 ـ 1258)

بعد ان ضعف (السلاجقة) استطاع (الخليفة المقتفي لأمر الله) أن يستقل، وتحالف مع الامارة (الزنكية الاتابكية التركستانية) في شمال العراق وسوريا ومركزها في (اربيل والموصل وحلب)، والمكلفة بمواجهة الصليبيين. وقد برز في هذه الامارة احد قادتها وهو (صلاح الدين الايوبي) مؤسس الدولة الايوبية في الشام ومصر بعد اسقاطه للدولة الفاطمية في (1171م)، المعادية للعباسيين. بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام 1193م ودفنه في دمشق، اقتسم أولاده السبعة عشر دولته الممتدة من الشام حتى ليبيا والحجاز واليمن. وانتهت بصعود المماليك الترك والشركس وتكوين (دولة المماليك) في مصر والشام، والتي بقيت في تقارب مع خلافة بغداد.

وفي هذه الاثناء برزت الدولة المغولية في(منغوليا) بقيادة(جنكيز خان) وتوسعت نحو الصين وتركستان وايران. وكان اخر الخلفاء المصلحين (المستنصر بالله: 1926 ـ 1942م) الذي أسس الجامعة المستنصرية في بغداد، مع اصلاحات اخرى. وفي خلافته سيطر المغول على بلاد فارس. ثم اعقبه آخر الخلفاء وافسدهم (المستعصم بالله) الذي بضعفه وبخله سارع بانتصار المغول واجتياح بغداد عام 1258 ونهاية الخلافة والحضارة العراقية العباسية. ودخول العراق في حقبة مظلمة لقرون طويلة. خلال خمسة قرون من الخلافة العباسية قد حكمها 11 خليفة، آخرهم (المستعصم بالله) الذي قتله زعيم المغول (هولاكو) في 19 شُباط 1258م[46].

(46) ـ أعيد إحياء الخلافة العباسية في مصر، من قبل المماليك بين (1261 ـ 1517)، ولكن الخليفة كان رمزياً، أما الحاكم الحقيقي فهو السلطان المملوكي، وقد انتهت مع سيطرة العثمانيين على مصر، وموافقة الخليفة العباسي على مبايعة (السلطان العثماني سليم الأول) خليفة للمسلمين.

الحروب الصليبية (1096 ـ 1291) ودور الأتراك

وهي الحملات التي قام بها فرسان أوربا الكاثوليكية (الغربية) واجتياح الشام بدعوى تحرير الأراضي المقدسة وقبر السيد المسيح، وكانوا يحملون الصليب. وهي في الحقيقة بدفع من الكنيسة والمسؤولين الأوربيين للتخلص من برابرة شمال أوربا الجرمان الذين ما كفّوا عن اجتياح أوربا. وأكبر دليل على أن هذه الحملات لم تكن فقط بدوافع دينية مسيحية، أن الصليبيين كانوا في كل حملة يمرقون على (القسطنطينية) عاصمة البيزنط والمسيحية الشرقية، وينهبونها ويحرقونها، مما أدى مع الزمن إلى ضعفها واضطرارها إلى الاستسلام للجيش التركي العثماني المسلم. وكانت هذه الحملات هي السبب الأكبر الذي جعل العباسيين يجلبون المحاربين الترك الذين كانوا محافظين على بداوتهم، كي يقفوا بوجه الخطر الصليبي.

أبرز الخلفاء

(أبو جعفر المنصور) مشيّد بغداد

نجح التحالف العباسي العلوي بإسقاط الدولة الأموية، وتحت قيادة (أبي العباس السفاح 749 ـ 754) الذي قام هو وأخوه (أبو جعفر المنصور 754 ـ 775) باتخاذ تدابير عقلانية من أجل تثبيت الدولة وتحقيق الازدهار. اختيرت أولاً مدينة (الكوفة) كعاصمة، ثم انتقل إلى مدينة (الهاشمية) التي أنشئت بالقرب من الكوفة، ثم جاء الخليفة الثاني (أبو جعفر المنصور) وأسس مدينة (بغداد)، وقد بدأ العمل بإنشائها سنة 541هـ، وانتقل إليها المنصور في العام التالي وأسماها (دار السلام).

الخليفة الشهير هارون الرشيد

إن أزهى عهد عاشته الخلافة العباسية العراقية هو عهد الخليفة الثالث هارون الرشيد (170 ـ 193 هجرية/ 781 ـ 809 م) الذي تولت وزارته أسرة البرامكة (حتى سنة 803م) وهم عائلة عراقية جدهم الأكبر كان بوذياً قَدِمَ من شمال أفغانستان. هذه الفترة تعد من أقوى وأزهى فترات الدولة العباسية في جميع عصورها، فقد استطاع بشخصيته القوية أن يقضي على حركات النزاع على الحكم التي تضعف الدولة، وكان الرشيد كثير الغزو لبلاد الروم مما أدى إلى تأمين الحدود الخارجية للدولة، وبذلك استتب الأمن واستقرت الأحوال، وقد كان العراق مركز الإمبراطورية، وكانت الخيرات تأتي إلى العاصمة من كل بقاع العالم الإسلامي.

المأمون الخليفة المثقف

لقد كان العراق إبان حكم المأمون من بغداد (819 ـ 833) مركزاً لفعاليات ثقافية مميزة، وخاصة ترجمة علوم وفلسفة الإغريق إلى العربية.. لقد تبنى المأمون مذهب (المعتزلة) الذي كان نزعة عقلانية، وهو مذهب عراقي تأسس في البصرة، ولقد جمع الخليفة نفسه نصوصاً، وشغلَ مترجمين مثل الشهير حنين بن إسحاق، وأسس (دار الحكمة) في بغداد. بلغت بغداد قمة فخامتها عمرانياً وظهر الجانب الشرقي من المدينة حافلاً بقصوره وحماماته وأسواقه ومدارسه ومساجده غير أن ازدهارها الحقيقي تمثل بازدهار العلم والمعرفة والأدب وانتقال الثقافة العراقية (العربية الإسلامية) إلى آفاق عالمية واكبت تعاظم الدور الاجتماعي والاقتصادي لبغداد. فلم تكن بغداد مجرد ظاهرة عمرانية أو سياسية على أهمية ذلك، إنما بداية لعصر من الإبداع الحضاري حيث انتقل إليها العلماء من المدينة المنورة والكوفة والبصرة، وأصبحت رمزاً لمدرسة فكرية موحدة وقبلة للعلم يقصدها الطلاب من مختلف الأنحاء، فازدهرت فيها الترجمة والإبداعات الأدبية والفكرية والعلمية في مختلف المجالات.

صلاح الدين الايوبي، التكريتي العراقي

المولود في 1137م في مدينة تكريت شمال بغداد، وعاش فترة في الموصل وبغداد، وكان على المذهب الاشعري، ويميل الى التصوف القادري.[47] وكان جده(شادي) قد قدم الى تكريت من (قرية دوين الكردية) في ارمينيا لانه كان موظفا لدى الترك السلاجقة. وهنالك جدل حول اصل العائلة، فبعض الأيوبيين يقولون: إنهم عرب أموية[48].

في كل الاحوال ان (صلاح الدين) قد تربى وتثقف بين (عرب العراق) وابيه (ايوب) قد عاش وتثقف ايضا في تكريت. وظلت العائلة وفية للعمل لدى (الترك). فعمل (صلاح الدين) لدى (الاتابكة الترك) في الموصل وأربيل وحلب. ولم يُذكر ان جيشه ولا دولته (الأيوبية) قد نطقت بالكردية او حملت اسمها، لأن أساسها كان تركمانيا بالاشتراك طبعا مع الشاميين والمصريين. كذلك ثقافة ولغة هذه الدولة هي الإسلام والعربية. وقد اشتهر هذا القائد بانتصاره على الصليبيين وتحريره بيت المقدس في (معركة حطين). وتوفي عام 1193 وقبره في دمشق. إذن (صلاح الدين) قبل كل شيء هو عراقي بالولادة والعائلة والتربية والثقافة، و(شامي ـ مصري) بكفاحه ودولته وسلالته الأيوبية، ثم مكان وفاته. ولكن جدّه (شادي) كردي الاصل والميلاد والنشأة.[49]

***

(47)ـ عن صلاح الدين: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث عام 564 هجري

(48) ـ اختلف المؤرخون القدماء حول أصل الأيوبيين، والبعض يرجح أنهم من أصل عربي. طالع:
ـ كتاب الأمراء الأيوبيون عبر التاريخ / عبد الغني محمد إسماعيل الأيوبي / رئيس جامعة الأمراء الأيوبيين في لبنان.

(49) ـ ان عراقية (صلاح الدين) هي امر متفق عليه انسانيا وعالميا. إذ ينتمي الانسان الى مكان ميلاده وتربيته. وهذا ما اطلقنا عليه:(المفهوم البلادي). اما المنطق العرقي العنصري الذي ينفي (عراقية صلاح الدين) ويركز فقط على اصله (الكردي)، فعليه إذن ان يعتبر(الخميني) هنديا وليس ايرانيا، لانه جده(سيد أحمد الموسوي الهندي) قد هاجر من الهند.(طالع نهاية هذا الفصل: الملحق)

فئات المجتمع العراقي في هذه المرحلة

خلالها تحول العراق و(بغداد) خصوصاً إلى مركز استقبال لما يحصى من الجماعات من مختلف الشعوب والأجناس، محاربين وتجار ومثقفين وعبيد ومماليك وجوار: أتراك وأرمن وفرس وهنود وبربر وأفارقة الأساسية للمجتمع العراقي، المتميزة عددياً وفعالياً:

العرب

كما بينا سابقاً، إن انتشار لغة ما، لا يعني أبداً أن جميع المتكلمين بها ينتمون إلى المجموعة العرقية (القومية) صاحبة تلك اللغة. يكفينا أمثلة عديدة معروفة، مثل اللغة الإنكليزية والأسبانية والبرتغالية المنتشرة في قارتي أمريكا بين شعوب مختلفة عرقياً عن الإنكليز والأسبان والبرتغال. إن انتشار أية لغة يعتمد أساساً على هيمنة المجموعة الناطقة بها على باقي المجاميع المختلفة لغوياً. على هذا الأساس يمكننا النظر إلى عملية التعريب التي جرت في العراق حيث تحول سكان العراق بغالبيتهم إلى العروبة مع الإسلام.

النصارى السريان

وهم جزء من سكان العراق الأصليين الذين لم يدخلوا الإسلام والتعريب، بل حافظوا على لغتهم ومسيحيتهم، وكان لهم حضورهم في بغداد وتكريت والرقة والموصل، وكان الخليفة يحترم رئيسهم (الجاثليق) ومقره في بغداد، حيث كانوا يحتفلون بأعيادهم بشكل شعبي يشاركهم بها حتى المسلمون. قامت الطبقة المتوسطة من (السريان) بدور مهم في الحركة الثقافية في العراق وأخرجت عدداً من الأطباء الكبار، والفلكيين والعلماء والمترجمين، وقد كانت حرّان المركز الأول للثقافة الآرامية وفيها بقية الدين الصابئي القديم الذي يدور حول عبادة الكواكب.

الصابئة

في الحقيقة إن هنالك إشكالاً وخلطاً بين الصابئة الحقيقيين في جنوب العراق والأحواز، والذين في شمال العراق (حران) الذين ادَّعوا أنهم صابئة لحماية أنفسهم

من تهمة الكفر؛ لأن عقيدتهم كانت من بقايا عقيدة عبادة الكواكب العراقية القديمة، وبما أنهم حافظوا على العلوم البابلية، فقد توفروا على الاهتمام بالفلك والعلوم المتصلة به من عهد عريق في القدم، وبرز منهم علماء فلكيون كبار مثل (البتاني).

اليهود

استقبل يهود العراق، مثل غالبية العراقيين من مختلف الطوائف، الفاتحين المسلمين بالترحاب والتعاون، بسبب ما عانوه من ضيق وقمع أيام الفرس الساسانيين. عاش اليهود فترة من الازدهار والأمان في ظل الخلفاء الراشدين ثم الدولة الأموية. أما في العصر العباسي فقد تمتعوا باعتراف كامل بخصوصيتهم، حيث قرَّبهم الخلفاء واحترموا شيخ الطائفة (رأس الجالوت ـ رأس الجالية) وأعادوا ما كان قد هدّم من معابدهم على عهد الساسانيين. انتعش النشاط الثقافي اليهودي ونشطت الكثير من الحركات الفكرية والدينية. فمثلاً في القرن الثامن م تكونت حركة فقهية يهودية في العراق اسمها (حركة القرائين) الاجتهادية الرافضة للتلمود.

الأكراد

اقدم ذكر لاسم: كردستان، ورد بعد عام 1200م،
عندما قام السلاجقة الاتراك بتسمية (مقاطعة كردستان)
في جبال ايران : مدينتي كرمنشاه وسنندج

طبعاً كما هو الحال في كل تاريخ العراق، إن مساهمة الأكراد في الحضارة العراقية مستمرة ولكن ليس بالضرورة تحت اسم (الأكراد). فكما ذكرنا سابقاً، إن جبال الأكراد

المطلة على وادي النهرين، كانت دائماً تغذي سكان العراق بالهجرات الكردية الفردية والجماعية، التي كانت تذوب بين باقي العراقيين وتتبنى ألقابهم ولغتهم ودينهم. في أواخر العصر العباسي، أي في زمن السلاجقة الأتراك تم لأول مرة الاستخدام الرسمي لتسمية (كردستان) فى منطقة سكناهم فى إيران. إذ قام (السلطان السلجوقي سنجر) في القرن 13م، بتكوين مقاطعة باسم (كردستان) كانت جزءاً من إقليم الجبال، ومركزها (كرمنشاه) و(سنندج) في إيران.

وبدأ دور الأكراد يبرز بالاعتماد عليهم كمحاربين تابعين للدويلات والإمارات التركية في شمال العراق وسوريا مثل (دولة الأتابكة)، التي برز فيها المحارب الكردي العراقي القائد الشهير (صلاح الدين الأيوبي).

التركمان

كما وضَّحنا سابقاً في حديثنا عن الترك، يعتبر التركمان من الجماعات التي تعود بأصولها القديمة إلى آسيا الوسطى الناطقة بالتركستانية والتي تتكون من بلدان (آسيا الوسطى): أوزبكستان وقرغيزستان وكازخستان وطاجكستان وتركمانستان، وقد ارتبطت منطقة آسيا الوسطى بعلاقات تاريخية قديمة مع العراق. إن الحضور التركماني الحقيقي الذي دونه التاريخ يعود إلى أوائل الفتح العربي الإسلامي. إن معظم أفراد الجيش الإسلامي بقيادة (عبيد الله بن زياد) عام (54هـ) الذي فتح تركستان كانوا من المحاربين العراقيين، الذين استقروا هناك وتزاوجوا مع التركستان، ولم يكتف العراقيون بالاستقرار والتزاوج مع الترك، بل إنهم بعثوا بالمقاتلين الترك ليستقروا بدورهم في العراق. يقول الطبري: ((إن عبيد الله بن زياد قام في شهر ربيع الأول سنة 54هـ (673م) بهجماته عبر (جيحون) على (بخارى) ثم على (بيكند) فقاومه الجيش التركي تحت إمرة الملكة (قبج خاتون) مقاومة شديدة جداً، جلبت انتباهه وإعجابه لما لمسه فيهم من شجاعة فائقة وحسن استعمال الأسلحة، فاختار منهم ألفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشّاب فبعثهم في العراق وأسكنهم البصرة))[50].

(50) ـ عن تركمان العراق: تاريخ الطبري: (ص221ـ ج4).

طائفة المانوية

وهي الطائفة التي أسسها (مانو البابلي) في العراق، القرن الثالث م (كما وضحناها في المرحلة الثانية). وشاعت عنها تسمية (زنديق) في الفترة الإسلامية. يبدو أن الفتح العربي منحها بعض الزخم بسبب كثرة اتباع المانوية في العراق بعد هجرة الأعداد الكبيرة منهم من الشاميين والمصريين إلى العراق بعد حكم الاعدام الذي كان قد أصدره البيزنط بحقهم. ثم إن الإسلام في أول الأمر لم يكن موقفه واضحاً من المانوية، وقد اعتبرها في البدء من أديان أهل الكتاب. في العصر الأموي تمتع أتباع المانوية ببعض الحرية خصوصاً في زمن الخليفة (الوليد الثاني 743 ـ 744).. ومما ساعد على نشاطها استخدام الكثير من اتباعها كُتّاباً في الدواوين في العراق بدل المجوس الفرس، وذلك بعد قرار تعريب الدواوين في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي. وهذا ساعدهم[51].

في الفترة العباسية، تزايد الاضطهاد ضد المانوية باسم مكافحة الزندقة والمثنوية والإلحاد والدهرية والمجون، إلاّ أن أتباعها كانوا نشيطين خصوصاً في المجال الفكري، وشكلوا الحلقات الثقافية التي يطلق عليها (إخوان الصدق)، لاحظ التشابه مع (اخوان الصفا). وقد شملت تهمة المانوية كتّاباً وشعراء مثل: صالح ابن عبد القدوس، بشار بن برد، أبو النواس، أبو العتاهية، حماد الراوية، عبد الله بن المقفع.. وغيرهم. وقد حكم بالموت على الكثير من هؤلاء المثقفين. وقد قام بالرد عليها وتفنيدها: واصل بن عطاء، الجاحظ، أبو محمد بن الحكم، الجبائي، النوبختي، المسعودي، الرازي، الرقي... وغيرهم[52].

يعتبر الخليفة العباسي (المهدي) (775 ـ 785)، أول من أعلن الحرب ضد المانوية وجميع التيارات الفكرية المعارضة باسم مكافحة الزندقة، حتى سمي (قصاب الزنادقة). وقد أنشأ من أجل ذلك (ديوان الزنادقة) بقيادة (عريف الزنادقة). وفي

(51) ـ يستغرب المؤرخ القومي (عبد العزيز الدوري) هذا التحول نحو المانوية في الدواوين الأموية، لأنه لا يدرك أن الزرادشتيين فرس ولا يتقنون غير الفارسية، أما اتباع المانوية فهم عراقيون ويتقنون العربية القريبة من السريانية، لغتهم الأصلية. ولهذا تم استخدامهم في عملية تعريب الدواوين. (راجع ـ الدوري ـ الجذور التاريخية للشعوبية ـ ص22).

(52) ـ التاريخ الاسلامي ـ فاروق عمر ـ ص 193،213

أواخر العهد العباسي توسعت تهمة (الزندقة) حتى وصلت على يد الإمام الغزالي الى كل محاولة اجتهادية تخالف المذاهب السلفية وتنحرف عنها في التفسير[53]. واستمر الاضطهاد وتعاظم مع الخليفة (المقتدر) (908 ـ 932)، وحسب (فهرست ابن النديم)، إنه في أواخر القرن العاشر الميلادي قد هبط عدد رموز المانوية في بغداد من 300 شخص إلى 5 أشخاص فقط. بسبب اضطهاد العباسيين اضطر الكثير من اتباع المانوية إلى الهروب من العراق إلى خراسان وكردستان وتركستان (ربما يكون اليزيديون في شمال العراق من بقايا المانوية الذين هربوا من اضطهاد العباسيين)[54].

أربيل المسيحية السريانية، ثم التركمانية

في تلك المرحلة لم يكن هنالك وجود واضح وموثق للأكراد في هذه المدينة (وهي حالياً عاصمة إقليم كردستان العراق). فبعد الفتح العربي الإسلامي لشمال العراق، أخذت أربيل السريانية المسيحية، مثل كل الحواضر العراقية، بدفع الجزية، وكان (مار إيشوعياب الحذيابي) شيخ المشاهير أسقفاً لنينوى، ومن ثم مطراناً لأربيل، وبعدها بين (650 ـ 659م) بطريركاً على الكنيسة المشرقية الجامعة. هذا المطران الأربيلي كان قد خلف للبشرية أكثر من خمسة عشر مؤلفاً قيماً.

أربيل والأربيليون أيام الأتابكة التركمان: استطاع (عماد الدين زنكي) مؤسس (أتابكية الموصل) أن يضم إليه إمارة أربيل من خلال اتفاق سياسي حوالي (1160) م، وقد اعتمدوا كثيراً على المسيحيين في أربيل وسائر أرجاء مقاطعة حذياب لإدارة شؤون إماراتهم وسلطانهم. كان القرنان الثاني عشر والثالث عشر متميزين بالتغيرات الاجتماعية والديموغرافية الكبيرة حيث اجتمعت أقوام جبلية كردية بدأت تهبط إلى أربيل ومعظم مقاطعة حدياب الخصبة، وعلى الرغم من ذلك كان عدد السريان فيها هو أكثر من نصف السكان، وقد عرف العديد من الذين نالوا السطوة والوظائف البارزة لدى الأتابكة من أبناء (عائلة شماشا) المشهورة في أربيل آنذاك، وبعضهم اعتنق الإسلام مثل (أبي الحسن) وهو (جلال الدين علي بن شماس الأربيلي) رئيس ديوان وأمين سر (السلطان مظفر الدين كوكبري) حاكم اربيل الشهير (1153م ـ 1232م).

التنوع المذهبي والخلافات الطائفية

هنالك حقيقة مهمة طالما أسيء فهمها: إن الانقسام في المجتمع الإسلامي ولعدة قرون، خلال الفترة الأموية وحتى أواسط الفترة العباسية، لم يكن انقساماً بين (شيعة وسنة)، بل انقسامات عديدة بين عدة مذاهب سائدة حينذاك: (علوية، خوارج، معتزلة،

(53) ـ نفس المصدر السابق/ فاروق عمر

(54) ـ عن المانوية: طالع دراستنا المنشورة في كتابنا (الذات الجريحة):

مرجئة، أهل الحديث.. إلخ). كذلك كانت هنالك انقسامات عديدة وتناحرات في داخل (شيعة علي): (الإمامية الاثني عشرية، الزيدية، الكسائية، الإسماعيلية)[55].

أما من الناحية الفكرية والثقافية فإن الخلاف كان شديداً خصوصاً بين أهل الكلام والعقل ـ أي الفلاسفة ـ وعلى رأسهم المعتزلة، وأهل الحديث والنقل ـ أي السلفية ـ أي الرافضين للاجتهاد الفكري والداعين للتمسك الحرفي بالنصوص المقدسة وعلى رأسهم (الحنبلية)[56]. فقد حدثت صراعات حادة في بغداد بين (المعتزلة) وخصومهم، وكذلك حدثت شجارات بين أنصار (الحنبلية) و(الشافعية). أما أنصار (الإمام علي) فلم يكن الشيعة وحدهم، بل غالبية المسلمين من مختلف المذاهب ضد أنصار الأمويين. حتى الفقيه (أحمد بن حنبل) في القرن الثامن، رغم تشدده الديني، إلاّ أنه خصص معظم كتابه (فضائل الصحابة) لمناقب (الإمام علي) (جزء 1/ 528 ـ 551، 2/ 555 ـ 738).

أما قيادات الدولة العباسية فلم تكن سنية ولا على مذهب واحد، بل تنوعت مذاهب الخلفاء حسب الظروف. فخلال خمسة قرون من عمر الخلافة في بغداد، كان دين الدولة يتأثر بطائفة الخليفة، فالمأمون والمعتصم والواثق أعلنوا (الاعتزال) عقيدة الدولة، وقام المتوكل بتعيين (الشافعية) مذهباً رسمياً، أما المستعصم بالله فكان يميل نحو (الشيعة) وكذلك الخلفاء الذين تعاقبوا خلال النفوذ البويهي الشيعي (945 ـ 1055م).

شيعة العراق (عملاء مصر)؟! وتحول الخلاف السني ـ الشيعي، من سياسي الى مذهبي!

من طرائف التاريخ، أن الخلاف الشيعي السني قد بدأ فعلياً بتهمة: (العمالة للدولة الفاطمية المصرية)!

لقد ظهرت الدولة الفاطمية (909 ـ 1171) في (المغرب) أولاً، ثم استقرت في

(55) ـ لقد اتفقت على هذا غالبية المصادر التي بحثت في موضوع مذاهب الإسلام. راجع مثلاً: تيارات الفكر الإسلامي ـ محمد عمارة ـ قسم الشيعة الاثني عشرية.
(56) ـ عن الحنبلية: نفس المصدر السابق/ قسم الأشعرية، حيث يقارن مع الحنبلية.

(مصر) حيث شيدت عاصمتها (القاهرة)، وضمت إليها بلاد الشام. كان الفاطميون شيعة إسماعيلية، يدعون إلى الباطنية (السرية) والعمل العنفي، على عكس (الشيعة الجعفرية) الذين يميلون إلى العمل الثقافي العلني. إن خطر الدولة الفاطمية وتهديدها بإسقاط الدولة العباسية، كان جدياً وعلنياً، وهذا ما أثار مخاوف الخلفاء وعموم السنّة، من شيعة العراق، الذين بدؤوا يميلون ويتعاملون فعلاً مع الفاطميين، بحيث أصبحت مصر ملجأ للكثير من المثقفين والشخصيات العراقية الهاربة، أمثال (ابن الهيثم) العالم البصري الشيعي[57]، وكذلك (المسعودي) المؤرخ البغدادي الشيعي الشهير وصاحب كتاب (مروج الذهب)، والاثنان قد لجآ إلى (مصر) وتوفيا فيها.

وقد بلغ هذا الخطر إلى درجة أن أحد أعوان الفاطميين (البساسيري: وهو مملوك تركي) سيطر على (بغداد) نفسها لمدة عام (1058)، وذكر اسم الخليفة الفاطمي في مساجدها بدلاً من اسم الخليفة العباسي. لكن السلطان السلجوقي (طغرل بك) استطاع القضاء عليه. لهذا التف أهل السنَّة حول السلاجقة الترك الذين أتوا كمدافعين عن الإسلام السني إزاء الخطر الفاطمي الشيعي. وقد بلغ الأمر بالقيادات الشيعية العراقية، أنهم اضطروا إلى توقيع بيان باسم علماء بغداد لصالح الخليفة يتهم (الفاطميين) بالكفر وزيف انتمائهم إلى سلالة الرسول وابنته فاطمة[58].

إذن هكذا في هذه الحقبة بالذات تحول (الخلاف السياسي التحزبي) الى (خلاف مذهبي طائفي)، حيث اعلن الخليفة القادر (991 ـ 1031) قيادته للسنَّة، ثم تلاه ابنه الخليفة القائم العباسي (1040م/ 433 هـ) الذي أصدر وثيقة (الاعتقاد القادري)[59] التي تتضمن بعض البنود التي تعارض (مذهب المعتزلة) و(مذهب الشيعة)، مثل:

1 ـ تكفير كل من لا يُسلِّم بأن كلام الله قديم وأن أفعال الإنسان مُقدرة سلفاً، وأن المؤمن ليس له أن يسأل عن أسباب الله حتى وإن عاقب المحسن ونعّم المسيء.

---

(57) ـ جاء في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي أن (ابن الهيثم) لجأ إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي دعاه إلى مصر لتنظيم فيضانات النيل/ وتوفي في القاهرة في 1021، وفيها ألف كتابه الأشهر المناظر.

(58) ـ الشيعة في مصر ـ صالح الورداني ص26.

(59) ـ يقول الذهبي في حوادث سنة 420هـ:

«وفي شعبان جُمع العلماء والقضاة في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل عمله القادر بالله، يتضمن الوعظ، وتفصيل مذهب السنة، والطعن على المعتزلة، وفيه أخبار كثيرة في ذلك».

ـ المنتظم 15/ 280 ـ 282 و15/ 197، تاريخ الإسلام 28/ 286، البداية 12/ 26 و12/ 4.

2 ـ تكفير من يُقَدِّم الإمام علي بن أبي طالب على الشيخين ـ إخراج من ينتقد عائشة من الملة ـ نفي صفة المسلم عمن يجحد معاوية ـ تارك الصلاة لا يصلى عليه، ويحشر يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون. [60]

أكذوبة زواج الحسين بـ(شهربانو) ابنة آخر ملك فارسي(يزدجر)!؟

اتفق غالبية المؤرخين بأن (ام الامام علي السجاد، ابن الحسين) هي (ام ولد) أي اجنبية: من (الاماء). وكان هذا امرا معيبا في قريش. لهذا فقد اصطنع بعض رواة الشيعة اكذوبة بأنها:(ابنة الملك يزدجر)! ثم مع الزمن حولها انصار الفرس الى دليل على اختلاط العلوية من نسل الحسين بـ(الدم الملكي الفارسي)!

ولكن هذه الرواية قد دحضها غالبية المؤرخين القدماء والمعاصرين، وانها من اصطناع الغلاة. هذه بعض المصادر القديمة التي تذكر بغالبيتها بان اسمها(سلافة) وهي من(السند او بلوشستان: منقسمة حاليا بين ايران وباكستان):

البلاذري: أمه ام ولد، سجستانية(اي بلوشستان) تسمى سلافة: الأنساب ج 3 /ص/146/103,102.

الخوارزمي: أمه أم ولد أمه سلافة: المناقب: ص 143.

اليافعي: أمه ام ولد من أسراء بلاد السند / مرآة الجنان /ج1 /210ص.

اليعقوبي: امه ام ولد من أسراء كابل. تاريخ اليعقوبي: ج3/ص 43.

ابن طولون في الائمة الاثني عشر: امه سندية يقال لها سلافة /ص 78.

الاربلي في «كشف الغمة ج2/ص 80: امه ام ولد اسمها غزالة.

احمد أمين في ضحى الإسلام ج 1/ص 11: كان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء حتى نشأ منهم علي بن الحسين.

وقال سعد بن عبد الله القمي الأشعري: ام ولد يقال لها سلافة. المقلات والفرق ص 70

وقال ابن سعد في الطبقات: ج 5/ ص 156: ام ولد واسمها غزالة.

قال الباحث الإيراني الدكتور سعيد نفيسي في كتابه « تاريخ ايران الاجتماعي» ج1/ص13 «ان يزد جرد الثالث لم تكن له أصلا بنت باسم « شهربانو»... كما أن « يزدجرد» في فترة خلافة عمر كان عمره خمسة عشر عاما فكيف تسنى ان يكون له بنت بعمر الزواج![61]

* * *

(60) ـ عن الاعتقاد القادري: (انظر شرح العقيدة للإمام السنوسي ت: 895 هـ).

(61) ـ عن اصل زوجة الحسين، طالع دراسة مفصلة:

ـ زواج الحسين بابنة كسرى بين الحقيقة والأسطورة: صباح الموسوي

الحضارة العراقية العباسية، اساس الحضارة العربية الاسلامية

الكثيرون يجهلون بأن جميع تراثنا العربي الاسلامي قد دون بعد قيام الدولة العباسية: السيرة النبوية والاحاديث وواقعة كربلاء ونهج البلاغة، شعر المعلقات، كلها قد دونت لاول مرة في العراق العباسي، من مصادر اما سمعية او وريقات غير منتظمة او عن سجلات قد اختفت.[62] مثل (السيرة النبوية) التي دونها (ابن هشام: متوفى في 218هـ)، بناء على ما سمعه من (الشيخ البكائي الكوفي)، الذي بدوره كان قد سمعها من (ابن اسحاق المديني البغدادي) والثلاثة عاشوا وابدعوا في العراق العباسي.[63]

فلا يمكن الحديث عن (حضارة) دون وجود كتابة وتدوين ونصوص ادبية وعلمية ودينية. ولم يبدأ عصر التدوين إلا بعد مرور اكثر من قرن على قيام دولة الرسول، أي

(62) ـ لو عاينا جميع الكتب الحالية عن تاريخ الدولتين الراشدية والاموية فإن مصادرها من الفترة العباسية، بالاعتماد على مصادر اقدم سمعية او بعضها قيل انها مكتوبة لكنها لم يعثر عليها.
ـ كذلك تدوين الاحاديث النبوية، حيث ظهرت كتب المسانيد، وكتب الصحاح، واستفاد مؤلفو هذه الموسوعات من كتب الحديث التي ألفت من قبل؛ ككتب مالك، والأوزاعي، وحمّاد بن سلمة، وتنوّعت تلك الموسوعات في أسلوب كتابتها وتصنيفها وترتيبها، وعُرف منها: صحيح البخاري الذي صنّفه الإمام البخاري، وصحيح مسلم الذي صنّفه الإمام مسلم.
ـ (واقعة كربلاء) نقلها لنا(الطبري البغدادي) نقلا عن(ابو مخنف الكوفي).

(63) ـ من الامثلة المعروفة عن عدم وجود نصوص مؤكدة قبل الفترة العباسية، (كتاب الملوك واخبار الماضين) الذي يقال ان (الخليفة معاوية) قد ادلى به الى مؤرخ يماني اسمه(عبيد بن شرية). لكن ليس هناك من قرأ الكتاب او شاهده. بل حتى المؤلف غير مؤكد الوجود. راجع دارسة جادة ومختصرة في ويكيبيديا بعنوان: عبيد بن شرية

مع بدء الدولة العباسية في العراق. فخلال الحقبتين الراشدية ثم الاموية[64]، انشغل المسلمون بالفتوحات وتشيد اعظم امبراطورية عربية اسلامية من حدود الصين الى حدود فرنسا. اما (الحضارة: التدوين) فانها لم تبدأ إلا بعد قيام الدولة العباسية حيث اصبحت حواضر العراق مركز شعاعها. [65]

التنوعات البلدانية للحضارة العربية الاسلامية

كما يصح الحديث عن: (الحضارة الفرنسية، والايطالية والالمانية والامريكية، واليابانية، وحتى الصينية) كتنوعات وطنية لـ(الحضارة الغربية) المشتركة والمتكاملة، كذلك يصح الحديث عن: (تنوعات وطنية: عراقية ومصرية وشامية، ومغاربية، وايرانية، وتركستانية، واندلسية، وهندية.. الخ) لـ(الحضارة العربية الاسلامية) المشتركة والمتكاملة، خصوصا بالاسلام كدين مشترك وبالعربية كلغة ثقافة وابداع. إذن يصح الحديث عن (الحضارة العراقية العباسية) التي نشات وازدهرت في حواضر العراق وابدعها اهل العراق بمختلف اصولهم وعقائدهم وغذوها بأرواحهم وعقولهم وميراث اسلافهم في سومر وبابل وآشور.

ان اوضح دليل أن (العراق وعاصمتة بغداد) كان هو مركز وروح هذه الإمبراطورية العباسية، انها استمرت حية رغم جميع الدول الانفصالية العديدة التي قامت حولها خلال عدة قرون، ولم تنته فعلياً إلاّ بعد سقوط (العراق ـ بغداد) واحتلاله على يد المغول في 1258. [66]

---

(64) ـ حكم الخلفاء الراشدين 29 عاماً، (632 ـ 661م). اما (الدولة الأموية) استمرَّت 91 عاماً (41 ـ 132 هـ / 662 ـ 750 م)

(65) ـ ورد في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص416:

((قال الذهبي: في سنة (ثلاث وأربعين ومائة 143 هـ):(أي بعد عشرة اعوام على قيام الدولة العباسية)، شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنف ابن جريج بمكة، ومالك الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق في المغازي، وصنف أبو حنيفة رحمه الله الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب. وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس. وقبل هذا العصر كان الناس يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة))

(66) ـ أفضل وصف لخصوصية العراقيين وسر قدرتهم على الإبداع الحضاري:

قال الجاحظ: (العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء... أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح، والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء).

ـ (وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة، والمذاهب البديعة، وأهل هذا الإقليم =

منذ فجر التاريخ، ظل طبع العراقيين هو (الروح العالمية الخارجية)، حيث كانت (بابل) من قبل، وهكذا أصبحت (بغداد) التي جذبت إليها مختلف مبدعي الأرض من مختلف الشعوب والأعراق. فكانت تضم بالإضافة إلى المبدعين العراقيين مسلمين ومسيحيين وصابئة ويهوداً، الفرس والترك والشاميين والحجازيين والأرمن وغيرهم. كذلك رغم سيادة الإسلام والدولة الإسلامية، إلاّ أن روح الانفتاح جعلت (بغداد) تستقبل المبدعين من مختلف المذاهب والأديان: المسيحيين والصابئة واليهود والمانوية، وهنالك أيضاً الشيعة والسنَّة والمتصوفة من مختلف التيارات والطرق.

بيت الحكمة أول جامعة في التاريخ

كان أكبر مؤسسة علمية في العراق، ويعتبر (أول جامعة في التاريخ). أنشئ في عصر الخليفة (هارون الرشيد) ثم ابنه (عبد الله المأمون) وأحدَثَ نقلة نوعية في الترجمة تمهيداً للعصر الذهبي الإسلامي في بداية القرن التاسع م. كان يضم مساكن للطلاب والمعلمين وساحة جامعية بالإضافة إلى مطعم لتزويد الطلاب والأساتذة بالغذاء. يتكون البيت من طابقين، السفلي يضم قاعات خاصة بخزائن الكتب وأقسام الترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة والدراسة في كل مجال من مجالات المعرفة والعلوم والآداب، أما قاعات الطابق العلوي فكانت خاصة لإقامة المؤلفين والمترجمين والدارسين والعاملين وغيرهم، وظل بيت الحكمة قائماً حتى اجتاح المغول بغداد سنة (656هـ/ 1258م)، حيث تم تدمير معظم محتوياته في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ما يزيد على 300 ألف كتاب.

= أهل بصر وتدقيق ونظر، وبحث عن الآراء والعقائد، وشبه معترضة في المذاهب، وقد كان منهم في أيام الأكاسرة مثل ماني وديصان ومزدك وغيرهم). عن: ابن أبي الحديد (1258م)، شرح نهج البلاغة/ ج2 ص344 و279.

دور العراقيين في ابداع المذاهب الفقهية

في تأسيس التشيع[67]

هشام بن الحكم، مؤسس المذهب الجعفري

إن التشيع أخذ بعداً فكرياً مذهبياً على يد الإمام الحجازي (جعفر الصادق 699 ـ 765م) وتلميذه العراقي الكوفي (هشام بن الحكم)، ولد هشام في الكوفة (توفي في 179هـ)، ونشأ في واسط، وكان يعمل في التجارة في بغداد، ثُم استقر فيها. ارتبط بالإمام (جعفر الصادق) منذ بداية شبابه ثم مع ابنه الإمام (موسى الكاظم). بَرَعَ في علم الكلام والجدل وله الكثير من المناظرات مع علماء عصره الذين عرفوا بقوّة المناظرة. له عدّة مؤلفات، منها: (علل التحريم) (الفرائض) (الإمامة)، وغيرها.

(67) ـ سنعود إلى تفصيل تاريخ التشيع العراقي، في الفصل القادم.

الشريف الرضي مدون كتاب نهج البلاغة

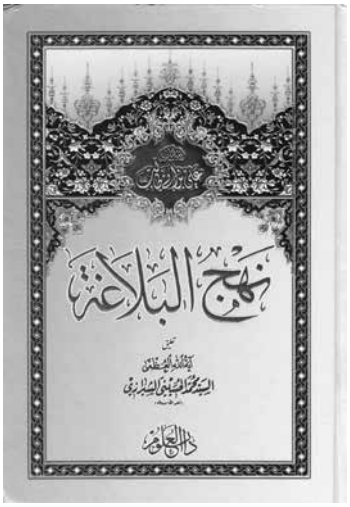

ولد وعاش وتوفي في بغداد (359هـ ـ 406هـ/ 969 ـ 1015م) شاعر وفقيه ونقيب الطالبيين (العائلة العلوية) حتى وفاته، وهذا الكتاب من أهم كتب الأدب الإسلامي والحكمة الإنسانية وأحد مصادر التشيع، وجمع فيه المختار من كلام (الإمام علي بن أبي طالب) في الخطب والمواعظ والحِكَم وغيرها توزعت على 238 خطبة، و79 نصوص مختلفة.

الإمام المهدي المنتظر (محمد بن الحسن المهدي)

حسب عقيدة الشيعة الجعفرية، هو آخر أئمة الشيعة الاثني عشرية، ولد و(غاب) وهو طفل في سامراء. وأنه سيعود (ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)، وحسب الروايات فإن الإمام الحادي عشر (الحسن العسكري) عندما كان تحت الإقامة الجبرية في سامراء عام (255هـ) أنجب طفلاً من زوجته المسيحية (نرجس) ويعتقد أنها من نسل شمعون الصفا وصي (السيد المسيح عيسى ابن مريم)، وبعد وفاة الإمام الأب عام 260هـ ـ حيث كان عمر المهدي خمس سنين تقريباً ـ بدأت (غيبته الصغرى) التي استمرت قرابة 70 سنة حتى عام 329هـ، فكان لا يظهر للناس بل يمثله كل فترة شخص (سفير) يتحدث باسمه، وبعدها بدأت (الغيبة الكبرى) التي ستدوم حتى اليوم الموعود.

المذاهب السنيّة

إن المذاهب السنية في الحقيقة خمسة: الحنفية والحنبلية والمالكية (الإمام مالك ـ الحجاز) والشافعية (الإمام الشافعي فلسطين)، أما (الأشعرية) فرغم أهميتها ودورها التاريخي وتأثيرها الفكري المستمر حتى الآن، إلاّ أنها لسبب غير واضح لم تعد تذكر بين المذاهب السنية، وثلاثة من هذه المذاهب، أسسها عراقيون في بغداد، وهم:

إمام الرأي أبو حنيفة النعمان (699 ـ 767م)

ويسمى مذهبه بمذهب (أهل العراق)، وُلِد بالكوفة وعاش في بغداد وتوفي بها، وهو عراقي نبطي (أي من السكان الأوائل)، وكان يعمل بالتجارة، حيث كان له محل في الكوفة لبيع الحرير. نشأ مذهب أبي حنيفة في الكوفة مهد مدرسة الرأي، وتكونت أصول المذهب على يديه، واختصرها هو في قوله: (إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله، فإذا لم أجد فيها أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا)، ولم يؤلف أبو حنيفة بنفسه كتاباً في الفقه بل دون عنه تلميذه (أبو يوسف) أهم كتبه (الآثار).

إمام السلفية أحمد بن محمد بن حنبل (780م ـ 855م)

ولد في بغداد وتنقل بين الحجاز واليمن ودمشق. سمع من كبار المحدثين ونال قسطاً وافراً من العلم والمعرفة، حتى قال فيه الإمام الشافعي: (خرجت من بغداد فما خلّفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقَهَ من ابن حنبل). مذهبه أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الجدل والرأي؛ لذا تمسك بالنص القرآني ثم بالبيّنة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلاّ في حالات نادرة، وله مؤلفات عديدة مثل (كتاب السنَّة) و(أحكام النساء)، وغيرها، وقد استمرت الحنبلية وتطرفت مع (ابن تيمية) وبلغت ذروة تطرفها النصوصي والفعلي في (الوهابية).

إمام الوسطية أبو الحسن الأشعري (874 ـ 936م)

ولد وعاش في البصرة، وهو من أحفاد أول ولاة البصرة (أبي موسى الأشعري). أول شبابه كان من (المعتزلة) أهل الكلام والفلسفة، ثم اختلف معهم لأنه كان يريد أن يقيم مذهباً وسطاً يجمع بين منهج المعتزلة العقلاني والفكر السني الحنبلي المعتمد على الرواية والحديث. له مصنفات عديدة بلغت الخمسين، منها: (إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان) و (تفسير القرآن) وغيرها الكثير.

تيارات فكرية وعقائدية

حركة المعتزلة

فرقة كلامية (فكرية وفقهية) ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (80هـ ـ 131هـ) أي القرن (الثامن م) في البصرة (في أواخر العصر الأموي)، وقد ازدهرت خلال العصر العباسي الأول. اعتمدوا على العقل الفلسفي في تأسيس عقائدهم وقدَّموه على النقل والحديث، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي. من أشهر المعتزلة (الجاحظ)، والخليفة العالم (المأمون). كما كان تأكيد المعتزلة على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي قد أعطاهم أهمية كبرى لدى الناس في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية، وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية. يعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية كخراسان وترمذ واليمن والجزيرة العربية والكوفة وأرمينيا إضافة إلى بغداد. انطوى تراث المعتزلة لقرون ولم يعرف عنه سوى من كتابات آخرين سواء من أشاروا إليهم عبوراً أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن قبل بضعة عقود أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي البصري عبد الجبار.

التصوف

ان التصوف قد عُرف اولاً في العراق، حيث برزت شخصيات كبرى قد ساهمت بالتعريف به ونشره، ومن أهم أعلامهم بين 800 م ـ 1300م: داود بن نصير الطائي

(الكوفي)، رابعة العدوية (البصرية)، معروف الكرخي (البغدادي)، السري السقطي (البغدادي)، الحارث المحاسبي (البغدادي)، منصور الحلاج (الواسطي)، الجنيد البغدادي، الإمام عبد القادر الجيلاني (البغدادي)، الإمام الرفاعي (بطائح البصرة)، وغيرهم الكثيرون[68].

إن التصوف هو امتداد طبيعي لتيار (العرفانية ـ الغنوصية) التي بدأت تنتشر في الشرق الأوسط، بالذات في العراق والشام ومصر، منذ القرن الثالث قبل الميلاد. وهي عقيدة تحاول أن تمزج بين روحانية الشرق الآسيوي ومنطق الإغريق مع ديانتي العراق ومصر القديمتين، وقد تمثلت العرفانية بمسيحية الإنجيل، وكذلك بالقبلانية اليهودية، والمانوية البابلية والصابئية المندائية. أما في (الإسلام) فقد تمثلت العرفانية في التصوف السني والعرفان الشيعي[69].

إخوان الصفا وخلان الوفا

هم جماعة شيعية نشأت في البصرة (القرن 4هـ / 10م)، تبنَّت الفكر الفلسفي العرفاني (الروحاني التصوفي)، وحاولت التوفيق بين الفلسفة والإسلام. لهم اثنتان وخمسون رسالة سمّوها (تحف إخوان الصفا) وقد ذاع صيتها حتى في الأندلس. من مؤلفيها أبو سليمان المقدسي، وأبو حسن الزنجاني والنهرجوري والصوفي وزيد بن

(68)ـ طبعاً لا ننسى أن هنالك العديد من كبار المتصوفة الذين ظهروا في بلدان اخرى، ومن أهمهم (ذو النون المصري)، و(بشر الحافي) التركمستاني العراقي. و(أبو القاسم القشيري) النيسابوري الايراني. و(ابن عربي) الاندلسي.

(69) ـ عن كلمة (تصوف)، إن المستشرقين يرون أنها مأخوذة من (صوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة. ولكن هذه الكلمة اليونانية، مثل الكثير من الكلمات اليونانية مقتبسة من الكنعانية الفينقية المرتبطة بالاكدية:
ان (أفلاطون) نفسه على لسان (سقراط) في محاورة كراتيليوس في فلسفة اللغة، عندما سئل عن كلمة (سوفي). قال: كلمة (سوفيا) غامضة جداً، وتبدو أنها ليست من أصل محلي.
هذا اعتراف بأن الكلمة ليست من أصل يوناني. ففي الأكادية، تجد كلمة (Safu) : صافو" التي تعني (يدعو، يصلي) وكلمة (Sufu : صوفو) ومعناها (دعاء، صلاة). وثمة عبارة في الأكدية تقول: -Semat tisliti u su pia. وفي الجذر العربي (صفا: شفو) (شافي وصفاء) و(آسي: حكيم وطبيب). عندما فلسف العرب (الفكر الروحاني) اطلقوا عليه هذه الكلمة.
طالع:
ـ ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، ط1، عمان، 1995، ص149.
ـ انظر ما كتبه الدكتور علي فهمي خشيم في تأصيل كلمة «فيلاسوفيا» في كتابه: رحلة الكلمات: الرحلة الأولى، مركز الحضارة العربية، ط2، القاهرة، 2001، ص، 97 ـ 98.
(هذه الاقتباسات والمصادر من دراسة منشورة: ـ رأي في تأثيل كلمة صوفي/ د. أمين عودة)

رفاعة، وهي موسوعة في علوم مختلفة في مبادئ الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتنجيم والفلك وغير ذلك، وكانت تحت تأثير الفكر الإسماعيلي الشيعي ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية. كان الهدف المعلن من هذه الحركة (التضافر للسعي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهِّر النفس).

الخوارج والاباضية

هي فرقة إسلامية نشأت في العراق بين أنصار (الخليفة علي بن ابي طالب) في القرن الاول الهجري، إذ تمردوا عليه لقبوله التحكيم مع معاوية. كانوا عموما يميلون الى الثورة ويدَّعون بالبراءة والرفض للخليفة (عثمان بن عفان)، والخليفة (علي بن أبي طالب)، والحكّام الأمويين، والدعوة الى إيقاف الحروب بين المسلمين. أطلق عليهم خصومهم اسم (الخوارج) لخروجهم على أئمة الحق، ولكن هم فسَّروه على أنه: خروج على أئمة الجور والفسق. وقد انقسموا الى عدة مذاهب بقي منها (المذهب الاباضي) الذي اسسه في (البصرة) (عبد الله بن إباض التَّمِيمِي البصري). وانتشرت (الاباضية) في جنوب الجزيرة العربية، لكنها تركزت بين بربر بلدان المغرب حيث أسسوا (الدولة الرستمية: 776 ـ 909 م). الاباضية حاليا هي المذهب الرسمي لـ(سلطنة عمان)، وكذلك هنالك جماعات اباضية متميزة في ليبيا وتونس، وخاصَّةً في (وادي ميزاب) في الجزائر، وفي زنجبار بتنزانيا.

ألف ليلة وليلة إبداع عراقي ـ مشرقي ـ انساني خالد[70]

إن هذا الكتاب في الحقيقة عبارة عن موسوعة للحكايات الشعبية السائدة في بغداد العباسية، وطبعاً هذه الحكايات ليس لها مؤلف مثل جميع الإبداعات والحكايات الشعبية في العالم، وقد كتب بلغة عربية فصيحة ولكن بأسلوب وكلمات واضحة أقرب إلى اللهجة البغدادية العباسية، وتم الربط المصطنع بين هذه الحكايات بحكاية أساسية (شهريار وشهرزاد) تشكل أشبه بالشبكة الجامعة. أما الميزة العظمى لهذه الحكايات فهي أنها تعتبر خلاصة للثقافة الشعبية الحكواتية السائدة في بغداد العباسية.

بما أن بغداد كانت عاصمة لكل الثقافات واللغات المجتمعة تحت راية الإمبراطورية، فإن هذه الحكايات قد عبرَّت عن جميع هذه الثقافات: أولها ثقافة العراقيين الموروثة من أيام بابل وآشور ثم آرام، حتى الحضور العربي الإسلامي، ثم باقي الثقافات العربية (المصرية والشامية والحجازية) ثم التركية والهندية والفارسية والرومية (اليونانية)، ويمكن اعتبار هذا الكتاب العظيم، أشبه بشجرة بذرتها كانت في الهند وبرعمها في إيران ثم تلقفها العراقيون لتصبح على يدهم شجرة عملاقة فيها مختلف الثمار العجيبة، وليس صدفة أن الخليفة الشهير (هارون الرشيد) يلعب بها دوراً أساسياً، كذلك (بغداد) و(البصرة) من مسارحها المميزة.

طبعاً احتاجت هذه الحكايات لقرون كي تكتمل، ويبدو أنها كانت معروفة منذ القرن العاشر م. إذ تحَّدث عنها عدة مؤرخين بغداديين من العصر العباسي مثل (المسعودي) و(ابن النديم) في (الفهرست) و(الصولي). أما الميزة الكبرى الثانية لهذه الحكايات، فإنها تعبّر عن الروح الأنثوية التي كانت سائدة في بغداد ذلك العصر. فمثل كل عصور الازدهار والرخاء والبذخ كانت النساء تلعب دوراً حاسماً في الحياة العامة وخصوصاً في مجال الثقافة الفنية والأدبية. إذ كانت بغداد تزخر بالنساء من زوجات الخلفاء والقادة، مع الجواري والقيان من مختلف الأصول والثقافات، وقد أثَّرن بشكل كبير في المجتمع البغدادي خصوصاً والعراقي عموماً. لكن (ألف ليلة وليلة) أخذت قيمتها في الثقافة الرسمية العربية والعالمية بعد عدة قرون من تأليفها، بعد أن أعاد اكتشافها الأوربيون، وتعرف لدى الغرب (بالإنجليزية: Arabian Nights) أي (الليالي العربية)، بعد أن عثر على نسختها في (حلب) المستشرق الفرنسي أنطوان غالان عام **1704** م، وترجمها وقدمها إلى الفرنسيين، ثم ترجمت عن الفرنسية إلى مختلف لغات أوربا طوال القرن الثامن عشر وما تلاه.

لقد اضطررنا الى اختصار العرض اعلاه عن الحضارة العراقية العباسية، وخصوصا في مجالات الادب والعلوم والفلسفة، لاننا سنوضح هذا من خلال الملحق ادناه، والذي نقدم فيه أهم المبدعين العراقيين في هذه المرحلة، مع العديد من مبدعي البلدان الاخرى:

(70) عن عراقية ومشرقية الف ليلة وليلة، طالع كتاب بحثي مهم:
ـ ألف ليلة وليلة... كتاب عراقي أصيل / سامي مهدي/ دار ميزوبوتاميا

ملحق تعريفي

(الهوية البلادية) للشخصيات الفاعلة، وكشف أكذوبة (دور الفرس) في الحضارة العربية الإسلامية[71]

الخريطة الحالية لانتشار اللغات القومية في ايران: الفارسية حوالي 50% / التركية حوالي 25% / الكردية حوالي 10% /البلوشية حوالي 2% / العربية حوالي 3%

في الحقيقة اننا ما تطرقنا لهذا الموضوع المعقد والحساس، رغبة باثارة (مشكلة الاصول العرقية القومية) للشخصيات التاريخية التي برزت في مختلف المجالات، بل اضطررنا الى هذا لمواجهة التشويه العنصري السائد عن قصد او عن جهل، باحتساب غالبية الشخصيات السياسية والثقافية في (الحضارة العربية الاسلامية) على (الفرس وايران)! فدائما تسمع وتقرأ، شعبيا واعلاميا واكاديميا:

ـ العرب بدو جهلة، والفرس هم من صنع الحضارة الاسلامية.. غالبية العلماء من الفرس.. لولا الفرس لما انوجدت الحضارة الاسلامية.. الفرس.. الفرس.. الفرس!؟

(71) ـ كما وضحنا سابقاً، إن المقصود بكلمة (بلادي) من (بلاد)، أي التعامل مع الشخص حسب انتمائه للبلاد التي ولد ونشأ وتعلم ونشط فيها، وليس حسب أصوله العنصرية والاسلافية القديمة والافتراضية، والتي من المستحيل اثباتها. ولم نستخدم كلمة (وطني) لأنها توحي بالمعنى العقائدي والميول السياسية (الوطنية).

حتى الاطفال والأميون يرددون هذا.. العرب واعداء العرب يرددونه.. الشيعة والسنة يرددونه.. انصار ايران واعداء ايران يرددونه!!؟؟

لكن لو تمعنا في الحقائق التاريخية خارج هذا التهويش الاعلامي، لتبين لنا بكل سهولة ويقين زيف هذا التهويل. يكفينا ان نعتمد، مثل جميع بلدان العالم، على المفهوم (البلادي) لتحديد هوية أية شخصية تاريخية. للتوضيح نسرد هذا المثال من ايران نفسها:

(السيد الخميني)، لا احد يعترض باعتباره: (ايراني ـ فارسي)، لانه بكل بساطة ولد ونشأ وتعلم وتوفي في (ايران). لكن لو اعتمدنا (المنهج العرقي القومي) فإن الامر سوف يتعقد:

ـ من ناحية اصول الاجداد القريبين، فان الخميني «هندي». لأن جدّه اسمه (سيد أحمد الموسوي الهندي) من سكان (دولة اوده الشيعية المسلمة، شمال الهند). هاجر هذا الجد اولا الى (النجف) موطن اجداده العلوية، ثم بعد سنوات هاجر الى (بلدة خمين: لقب خميني) في ايران واستقر هناك. أما من ناحية اصول الاجداد القدماء، فان الخميني، كما هو متداول رسميا (علوي موسوي، اي عربي)!

لكن رغم هذه الاصول (العرقية والاسلافية) السابقة، فقد تم الاعتماد تلقائيا وطبيعيا على (المفهوم البلادي) واتفق الجميع دون اي جدل بأن (الخميني) (ايراني فارسي) ونحن مع هذا تماما. لانه هو وابوه وعائلته نشأوا في ايران، وكرس حياته من اجل ايران. علما بانه ايضا عاش وتثقف في (العراق ـ النجف) في منفاه لحوالي 13 عاماً (65 ـ 1978).[72]

(72) ـ نفس الحال بالنسبة للسيد علي الخامنئي، مرشد الثورة: من ناحية الاصول العرقية اللغوية، فإنه جده (حسين الخامنئي) (تركي من آذربيجان). ومن ناحية الاصول العرقية القديمة فان (اجداده علوية عرب).
نفس الحال بالنسبة للكثيرين من قادة وشخصيات ايران في مختلف المجالات. ومنهم مثلا الرئيس السابق (علي خاتمي، العلوي).
ثم هنالك امثلة من التاريخ الايراني القريب:
ـ حتى عام 1500م ظلت ايران خاضعة وممزقة بين دول وامارات عدة داخلية وخارجية. ولكنها عادت من جديد موحدة وقوية بفضل دولتين ما كانت (فارسية) بل (تركمانية آذربيجانية متزاوجة مع جورجيين وشركس واكراد وارمن): (الدولة الصفوية: 1501 ـ 1736)، التي فرضت التشيع، ثم (الدولة القاجارية: 1779 ـ 1925).
=

كي لا يبدو بأننا منحازون لصالح دور العراقيين والعرب ضد دور الفرس، نضع هذا الجدول الحيادي، المختصر جداً، بأهم الشخصيات الإيرانية، والشخصيات التي احتسبت ظلماً على (الفرس)[73]:

الشخصيات الإيرانية (أو الفارسية) التي ولدت ونشأت في إحدى حواضر إيران

- **الإمام المؤرخ الطبري، ولد في طبرستان:** عاش وتثقف وأبدع ومات في بغداد[74].
- **إمام الحديث مسلم القشيري النيسابوري:** ولد في نيسابور. أصله عربي من (بني قشير)[75].
- **الإمام الفيلسوف الغزالي:** ولد في طوس، يحتمل أن أصله من عرب إيران.
- **الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي:** وُلد في الريّ.
- **الإمام المفسر فخر الدين الرازي:** ولد في الري (أصله قريشي عربي).
- **ابن ماجه:** محدِّث ومفسر ومؤرخ. ولد وتوفي في قزوين. عاش وتعلم في البصرة وبغداد والشام ومصر ومكة والمدينة.
- **أبو الفتوح السهروردي:** صوفي إشراقي، ولد في سهرورد وتعلم في حلب وبغداد، وتوفي في سوريا.

= .(رضا شاه) مؤسس ايران الحديثة، وفارض(عقيدة القومية الفارسية العنصرية المعادية للعرب)، هو من (أب غير فارسي: لوري علوي. وأم غير ايرانية: قفقاسية)، وكان (ضابطا قوزاقيا) لدى القاجارين الترك الآذربيجانية، قبل انقلابه البريطاني عام 1925.

(73) ـ نرجو أن يتفهم القارئ مقصدنا من التوقف عند (موضوع التفريس) باعتبار (الجميع مسلمين) ولا داعي للبحث في الأصول. نعم هذا الرد يبدو صحيحاً لو لم تكن السياسة حاضرة بقسوة في سرد التاريخ. إذ إن المشكلة تتضح عندما في كل مرة يتم فيها الحديث عن الحضارة العربية الإسلامية، نواجه بهذا الرد العنصري الظالم:

(العرب بدو أصحاب غزو، والحضارة صنعها الفرس)!! وهذا الكلام لا يردده الإيرانيون فحسب، بل المشكلة أنه منتشر بصورة عجيبة بين الناطقين بالعربية: في الكتب والجامعات والإعلام وحتى في العقلية الشعبية، وفي الأعوام الأخيرة تبنته جهات دولية تدعم الحركات العنصرية والحداثية لتحطيم شعور الشعوب العربية بكرامتها، ولتعميق جراح هزائمها، والسحق الروحي والنفسي لأية محاولة للنهوض.

(74) ـ عن أصل الطبري: راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي. كذلك:

«al ـ Ṭabarī.» [archive] Encyclopédie de l'Islam. Brill Online, 2014. Reference. BULAC (Bibliothèque universitaire des langues et civilisations). 06 August 2014

(75) ـ عن أصل الإمام مسلم:

ـ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج2، ص89، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، الإمام مسلم بن الحجاج، ج12، ص558، طبعة مؤسسة الرسالة.

ـ **الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني:** ولد في بلوشستان بين إيران وباكستان. عاش وأبدع في بغداد ومات في البصرة.

ـ **حسن الصباح الحميري:** (شيخ الجبل زعيم الحشاشين) وُلد ومات في إيران. من عائلة عراقية كوفية عربية، تثقف في العراق ومصر[76].

ـ **المتصوف أبو يزيد البِسطامِي:** ولد ومات في إيران، وتعلم في العراق.

ـ **أبو منصور الثعالبي:** ولد في نيسابور. جغرافي وأديب.

ـ **أبو حنيفة الدِّينَوَرِيُّ:** وُلِدَ في دِينَور، مؤرِّخ، ونباتي. يحتمل أن أصله فارسي أو كردي أو عربي[77].

ـ **عمر الخيام:** عاش ومات في نيسابور. شاعر وعالم رياضيات وفيلسوف. هناك من يقول: إنه من أصل عربي[78].

ـ **الفقيه أبو المعالي الجويني:** الملقب بإمام الحرمين، ولد في إيران ونشط في العراق والشام.

ـ **ابن مسكويه:** ولد في الري، مؤرخ وفيلسوف.

ـ **الصاحب بن عباد:** ولد في إصطخر، وزير وأديب وعالم.

ـ **عبد القاهر الجرجاني:** ولد في جرجان. عالم النحو والبلاغة.

---

(76) ـ عن أصل (حسن الصباح)، راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي. كذلك طالع:

Son père, `Alî b. Muhammad b. Ja`far b. al _ Husayn b. Muhammad b. al _ Sabbâh al _ Himyarî, était un érudit de Kûfa d'origine yéménite

Lewis, Bernard (November 2002). «3. The New Preaching». The Assassins. Basic Books. p. 38. ISBN 978 0 _ 00498 _ 465 _ 0 _. Hasan _ i Sabbah was born in the city of Qumm, one of the first centres of Arab settlement in Persia and a stronghold of Twelver Shi`ism., His father, a Twelver Shiite, had come from Kufa in Iraq, and was said to be of Yemeni origin _ more fancifully, a descendant of the ancient Himyaritic kings of Southern Arabia

عن ويكيبيديا بالإنكليزي:

Hassan _ i Sabbah

https://en.wikipedia.org/wiki/Hassan _ i_Sabbah#Early_life_and_conversion.

(77) ـ عن أصل الدينوري، راجع:

Dinawari | astronomer, botanist, and historian». Encyclopedia Britannica _ al» (باللغة الإنجليزية). مؤرشف من الأصل في 19 يونيو 2018. اطلع عليه بتاريخ 18 فبراير 2017.

Encyclopedia of Islam, by M. Th. Houtsma, Brill Academic, 1993 p. 977 أبو حنيفة الدينوري

(78) ـ عن أصل عمر الخيام، دكتورعبد المنعم الحفني، عمر الخيام والرباعيات، دار الراشد، القاهرة، 1992، ص 14

ـ **أبو الوفاء محمد البوزجاني:** ولد في نيسابور، عالِم رياضيات وفلك، تعلم وأبدع ومات في بغداد.

ـ **أبو قاسم الفردوسي:** ولد في طوس. أول من أبدع باللغة الفارسية بعد موتها خلال أكثر من ثلاثة قرون، واشتهر بتأليفه «الشاهنامة» بالفارسية، السيرة العنصرية ضد العرب.

ـ **أبو بكر البيهقي:** ولد ومات في نيسابور، فقيه شافعي، وتعلم ونشط في العراق.

ـ **بديع الزمان الهمذاني:** ولد في همدان وكان يفتخر بأصله التغلبي العربي، أبدع (مقامات بديع الزمان الهمداني)[79].

ـ **نصير الدين الطوسي:** ولد في طوس، عالم ومتكلّم ومرجع شيعي كبير.

ـ **محمد بن إسحاق الكليني:** ولد في الري، من كبار فقهاء ومحدثي الشيعة.

الشخصيات التركية المحسوبة ظلماً على الفرس وإيران

وهم أبناء شعوب (آسيا الوسطى) التي لغتها الأم هي (التركية)، ومنها انحدرت قبائل الترك الذين نزحوا إلى الشرق الأوسط، وأسسوا العديد من الدول، وأعظمها الدولة العثمانية، وتركيا الحالية، وكان يطلق على هذه المنطقة: (بلاد ما وراء النهر)

(79) ـ عن الأصل العربي للهمذاني: كتب في إحدى رسائله إلى أبي الفضل الإسفرائيني: «إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمذان المولد وتغلب المورد، ومضر المحتد».
طالع: مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

التي كانت تشكل (نصف إقليم خراسان الإسلامي)، وهي حالياً بلدان: (تركمانستان، كازخستان، قرغيزستان، أوزبكستان، طاجكستان)، وهي جميعها حالياً ناطقة بالتركية وليس هنالك أي أثر شعبي للفارسية. لكن لها علاقة قديمة بالفرس والفارسية، بسبب خضوعها لقرون طويلة للامبراطوريات الايرانية: الاخمينية والفرثية، والساسانية.

ـ بلاد تركمانستان

وفيها حاضرتان معروفتان (مدينة سرخس)، و(مدينة مرو) و(مدينة نسا): نسجل تحت أهم الشخصيات الذين ولدوا، أو عاشوا وماتوا في تركمانستان[80].

ـ أحمد بن الطيب السرخسي، رضي الدين السرخسي، شمس الأئمة السرخسي.

ـ الفضل بن سهل السرخسي (القرن 9م) هو أبو العباس السرخسي، أحد وزراء المأمون في بغداد.

ـ أبو محمد الحسن بن سهل السرخسي، من وزراء المأمون وولاته وقواده، وأخو الفضل بن سهل المعروف بذي الرياستين وابنته هي بوران زوجة المأمون.

مدينة مرو، وهنالك مدينتان في تركمانستان تحملان نفس الاسم

واللقب (مروزي)، ومن أعلامها الذين ولدوا فيها، وفيهم العديد من أصول عربية:

ـ الحافظ البغوي، خازم بن خزيمة التميمي، العباس بن مصعب بن بشر المروزي، أحمد بن سيار المروزي، عبد الله بن محمود المروزي، سفيان الثوري[81].

مدينة نسا (وهي حالياً مدينة عشق أباد عاصمة تركمانستان)

واللقب (نسائي)، ومن شخصياتها:

ـ أحمد بن شعيب النسائي، حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي النسائي، أبو أحمد بن زنجويه، مسعود التفتازاني.

---

(80) ـ في تركمانستان مراقد عدد من الصحابة أبرزهم:
بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو برزة، قريط بن أبي رمثة، الحكم بن عمرو الغفاري.
بالإضافة إلى أن هنالك العديد من العلماء المشهورين. راجع (ويكيبيديا: تركمانستان).

(81) ـ عن أعلام مدينة مرو، ابحث عن دراسة جيدة: معاقل العلم والعلماء.. مرو ـ محمد النورستاني.

بلاد أوزبكستان

وأهم حواضرها الإسلامية: (طشقند) و(بخارى) و(سمرقند) و(خوارزم).. من أشهر أعلامها:

ـ **محمد البخاري:** صاحب (صحيح البخاري)، ولد في بخارى، وتعلم ونشط في إيران والحجاز والعراق والشام ومصر، ومات في سمرقند (أوزبكستان)، وجميع مؤلفاته بالعربية.

ـ **ابن سينا:** ولد في (بخارى)، عالم كبير وطبيب وفيلسوف. أبدع بالعربية.

ـ **أبو الريحان البيروني:** ولد في (خوارزم) برع في مختلف العلوم مثل الرياضيات والفلسفة والطب والفلك. أبدع بالعربية.

ـ **أبو العباس أحمد الفرغاني:** ولد في (مدينة فرغانة) ثم انتقل إلى (بغداد) عالم رياضياتي وفلكي مسلم.

ـ **منصور بن عراق أبو النصر:** ولد بمدينة كيات عاصمة خوارزم؛ عالم رياضيات وفلك.

ـ **الزمخشري:** ولد في زمخشر قرب خوارزم. من أئمة المعتزلة.

دولة كازخستان: ومن أهم أعلامها

ـ **الفارابي محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان،** أبو نصر ولد في مدينة (فاراب)، وهو فيلسوف كبير ولقب بالمعلم الثاني لشرحه كتب أرسطو.

ـ **إسماعيل بن حماد الجوهري،** ولد في (فاراب) ومن أشهر مؤلفاته الصحاح.

ـ **محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري** القرن 11م، أول من دون اللغة التركية ووضع قاموسها بالعربي في (بغداد) «ديوان لغات الترك»، ولد في (مدينة كاشغر: تابعة حالياً للصين) ومن أم بصرية عراقية.

شخصيات أفغانستان التي احتسبت ظلماً على الفرس

كانت أفغانستان الحالية تشكل حوالي ثلث (إقليم خراسان)، وهي بلاد تتكون من عدة قوميات تنطق بمجموعتين من اللغات، أولها (اللغات الآرية) القريبة للفارسية: البشتونية 62%، والطاجكية 25%، الهزارة 3%، والبلوش2%. كذلك (لغات تركية) مثل الأوزبكية والتركمانية 10%، وحتى الآن هنالك بقايا متميزة لوجود العرب في خراسان، من خلال 400 قرية بين إيران وأفغانستان[82].

وأهم حواضرها

ـ **مدينة بلخ:** واللقب (البلخي). حالياً اسمها (مزار شريف) شمال شرق أفغانستان. لغات وقوميات المدينة: 40% طاجيك، 25% بشتون، 10% هزارة، 5% عرب، وكانت (بلخ) قبل الإسلام تسودها الديانات البوذية حيث يحتوي معبدها الأكبر على (3000 كاهن)، ومنهم (جد البرامكة)[83]، والمجوسية وكذلك المسيحية النسطورية القادمة من العراق.

(82) ـ عن القرى العربية في خراسان:
دراسة مهمة عن 400 قرية عربية بين أفغانستانٍ وإيران:
عربخانة.. قصة عرب فاتحين استوطنوا بعيداً بـ 400 قرية.
كذلك: العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي: د. عبد الرحمن الفريح.

(83) ـ عن بوذية جد البرامكة:
_ Kevin van Bladel, «The Bactrian Background of the Barmakids» ch.3 in A. Akasoy, C. Burnett and R. Yoeli _ Tlalim (eds.) ``Islam and Tibet: Interactions along the Musk Routes, Ashgate, 2011, 43 88 _
كذلك راجع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

ـ **مدينة هرات:** واللقب (هروي)، شمال غرب أفغانستان. أغلب السكان فيها من الطاجيك (50 %)، ثم البشتون (30 %)، والأوزبك (10 %) والهزارة (5 %) والعرب (5 %)[84].

أهم الشخصيات الأفغانية المعروفة

ـ **خالد بن برمك، جد البرامكة:** وهو من مدينة (بلخ)، وكان قبل إسلامه كاهناً في (معبد نوبهار البوذي)، وإن لقب (برمك) كلمة سنسكريتية تعني (الكاهن البوذي الأكبر)[85]. أما أبناء (خالد) الذين كانوا وزراء في (بغداد) في الحقبة العباسية، وعلى رأسهم الصديق الشهير للخليفة (هارون الرشيد): الوزير (جعفر البرمكي) فإنه (عراقي) لأنه ولد في (بغداد: عام 767م) وتربى وعاش ومات فيها، ولم ترد أية إشارة مثلاً أنه كان يعرف الفارسية أو نطق بغير العربية.

ـ **طاهر بن الحسين:** الذي ساعد المأمون وقتل الأمين، ولد في خراسان قرب (هَراة) وكان جده (مصعب بن زريق الخزاعي) قد اعتنق الإسلام وأصبح مولى تابعاً لـ (طلحة بن عبد الله الخُزاعي) والي خراسان، ثم ساهمت هذه العائلة في دعم العباسيين، فكافأه (الخليفة المأمون) بتكوين (سلالة الدولة الطاهرية التي حكمت خراسان)

---

(84) ـ عن تاريخ (هراة)، طالع:
ـ كتاب: مدينة هراة: دراسة سياسية وحضارية، صلاح سليم طايع أحمد.
كذلك ويكيبيديا بمختلف اللغات.

(85) ـ حول ديانة جد البرامكة: يقول المؤرخ الفرنسي دومينيك سوردال: إن ما جاء في وصف (معبد النوبهار) عند الجغرافيين العرب لا يطابق ما هو معروف عن هيكل النار (المجوسي)، بل على العكس إنه معبد بوذي.. ويذكر عالم الصينيات الفرنسي ستانيسلاس جولين أنه في القرن السابع الميلادي زار هذا المعبد حاج صيني يدعى هوان شانج Hiuan ـ Tsange ووصفه في كتاب اسمه ذكريات على البقاع الشرقية بقوله: إن كلمة نوبهار التي من المستبعد أن تكون كلمة فارسية تعني الربيع الجديد، وهي اسم مشتق من كلمتين سنسكريتيتين هما: نفا Nuova وفهارا Vihari، ومعناهما المعبد الجديد، إشارة إلى معبد بوذي.
طالع:

_ Hiouen _ Thsang, Mémoire sur les contrées occidentales, traduction française par Stanislas Julien, Paris, Impr. impériale, 1867, vol. I, p. 38.

_ Sourdel:Le Vizirat Abbaside I p.130

ـ **أبو معشر البلخي 787م:** فلكي وعالم رياضي، ويعرف في الغرب باسم (ألبوماسر Albumaser.)، ولد في (بلخ). عاش وأبدع في بغداد وتعلَّم على يد الكندي، وتوفي في (واسط ـ العراق). إذن فهو أفغاني ـ عراقي.

ـ **جَلال الدِّين الرُّومي:** ونسبه إلى (محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي البكري البلخي)، أصل أبيه عربي قريشي، وأصل أمه: (تركية من السلالة الخوارزمية: مؤمنة خاتون ابنة خوارزم). عُرف أيضاً باسم (مولانا جَلال الدِّين الرُّومي). متصوف كبير، وشاعر، عالم بفقه الحنفية، صاحب (كتاب المثنوي المشهور بالفارسية)، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إليه. تربى وتعلم منذ طفولته في (بغداد)، ثم رحل في شبابه إلى (قونيا ـ تركيا حاليا) وعاش وأبدع ودفن فيها[87].

***

شخصيات الأحواز التي احتسبت ظلماً على الفرس

(87) ـ عن (أصل الرومي)، طالع:
ـ جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام، عناية الله أبلاغ الأفغاني، الدار المصرية للكتاب، 1979، ص23.
ـ عمدة التحقيق في بشائر بيت آل الصديق لأبي المكارم الصديقي.
ـ رشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق للزبيدي.
ـ أنساب آل الصديق لبدر الدين بن سالم، المدينة، 1908.
ـ جواهر الآثار، عبد العزيز بن محمد الجوهري، إسطنبول، 1798.
أناماريا شيميل: «I am Wind you are Fire»، صفحة 11.
كذلك طالع ويكيبيديا بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

منذ ما قبل الإسلام، برزت في الأحواز (مدينة جنشابور) واسمها الأصلي السرياني (بيت عابات: مكان الهزيمة)، التي كانت معسكراً للأسرى السوريين والبيزنط، فأصبحت معقلاً للدراسات الدينية والطبية باللغة السريانية، ثم منذ الفترة الأموية، قدمت هذه المدينة السريانية المسيحية الأحوازية، شخصيات علمية مهمة، خدموا في (دمشق) لدى الخلفاء، أمثال:

ـ (أمية بن أثال) و(أبي الحكم) و(حكم الدمشقي) و(تياذوق).

أما في الحقبة العباسية فقد خَفَتَ دور هذا المركز الحضاري الأحوازي، نتيجة هجرة الكفاءات إلى (بغداد) التي قدم منها أجداد أبرز أسرتين سريانيتين مشهورتين في الطب والتنجيم:

ـ (الطبيب جورجيس بن بختيشوع، وأسرة نوبختي في التنجيم والفقه الشيعي)، وبعده أبناؤه (جرجيس وجبريل)، ثم تلاميذهم (إبراهيم) و(سرجيس) و(عيسى بن شهلانا) و(بختيشوع بن جبريل) و(سابور بن سهل)، والطبيب والحكيم الشهير (يوحنا بن ماسويه)، و(دهشاك) وابن أخيه (ميخائيل)، و(عيسى بن طاهر بخت)، وغيرهم الكثيرون من علماء الأحواز المسيحيين السريان.

ـ الفضل بن نوبخت الأهوازي: عالم فلك ومترجم عن السريانية، اشتهر بقيادته لمجموعة من الفلكيين الذين اقترحوا موقع بناء مدينة (بغداد) كما اشتغلت عائلته في تصميمها لاحقاً. علماً بأن أبناء وأحفاد مؤسس الأسر الأحوازي، قد ولدوا وعاشوا في بغداد.

ـ الشاعر أبو نؤاس، الحسن بن هانئ الحكمي: يعد من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية وكبار شعراء شعر الثورة التجديدية، ولد في الأحواز من أب سوري من الجيش الأموي، ونشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد وأصبح شاعر البلاط، وتوفي في بغداد.

ـ أبو علي الجبائي: شيخ المعتزلة في البصرة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية، ولد في مدينة جُبّى في الأحواز، وتوفي في البصرة.

ـ حمدان قرمط: هو حمدان بن الأشعث الأحوازي، الملقب (قرمط) وزعيم (الثورة القرمطية) الإسماعيلية المتطرفة، في جنوب العراق والبحرين والأحساء، قدم إلى الكوفة من الأحواز.

الشخصيات العراقية التي احتسبت ظلماً إلى الفرس

ـ **الإمام ابن حنبل:** مؤسس المذهب الحنبلي، وتتفق جميع المصادر على أنه ولد وعاش وأبدع ومات في بغداد، ولكن الخلاف حول أصل أبيه أو جده: هل هو عراقي من قبيلة عربية؟ ولكن هنالك تقوّلات ربما أنه قد ولد في (مرو ـ تركمانستان) عندما كان أبوه مسؤولاً عباسياً هناك[88].

ـ **الإمام أبو حنيفة النعمان:** اسمه (النعمان بن ثابت الكوفي) ولد في الكوفة، وأبوه (ثابت) ولد وعاش في الكوفة وتزوج من امرأة كوفية ومات في الكوفة، و(النعمان) نفسه كذلك ولد وعاش وتزوج من امرأة كوفية، وعاش فيها وأبدع وتكلم باللغة العربية، ولم يعرف لغة أخرى أبداً، ولم يسافر خارج العراق ولم يشاهد لا إيران ولا غيرها، وأمضى حياته يكافح وينشر دعوته في العراق حتى أطلق على مذهبه (مذهب أهل العراق)، ومات سجيناً في بغداد ولا زال قبره فيها (الإمام المعظم) ومذهبه حالياً هو المذهب الرسمي لسنَّة العراق[89].

ـ **الشيخ عبد القادر الگيلاني:** مؤسس الطريقة القادرية في بغداد، وقد ثبت أنه لم يولد في (گيلان إيران) بل في (گيلان العراق) حسب اتفاق المؤرخين في العصر الحديث، ومن دلائل الإجحاف أن هنالك عدة مدن في العالم الإسلامي تحمل اسم (گيلان)، فلماذا هذا الإصرار على اختيار (إيران)[90].

---

(88) ـ عن أصل الإمام ابن حنبل:
ـ ابن حنبل، محمد أبو زهرة، ص14.
ـ مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ابن الجوزي، ص12 ـ 13.
ـ الأئمة الأربعة، مصطفى الشكعة، ج4 ص7.

(89) ـ عن أصل الإمام أبي حنيفة:
ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الرسالة، بيروت، 1965، (مادة ـ أبو حنيفة).
ـ الإمام الأعظم، العباسي، أحمد، بغداد، 1956، ص431.
ـ المذاهب والأديان في العراق، رشيد الخيون، ص67.

(90) ـ طالع مثلاً، ويكيبيديا بالعربي: جيلان قرية بشاطئ الدجلة على مسيرة يوم واحد من بغداد في المدائن مما يلي طريق واسط العراق وإليها نسب شيخ الإسلام عبد القادر، وأغلب سكانها من الأكراد من قبيلة بشدر، ويؤكد عباس العزاوي أن أصل أسرة عبد القادر من الجيل ويسكنها الأكراد قرب بغداد، وهذا ما ذكره أوليا جلبي، ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من المناطق في العالم تحمل اسم جيلان: مثل جيلان (تركيا)، جيلان (إيران)، جيلان (أفغانستان)، جيلان (كوسوفا)، الجيلاني (الفيوم)، جيلان (السدة)، حارة الجيلاني (ذمار).

ـ **محمد بن موسى الخوارزمي:** عالم الرياضيات الكبير. هنالك جدال حول تاريخ ومكان ميلاده. والمؤكد أنه عاش وأبدع وتوفي في بغداد زمن المأمون وأصبح مسؤولاً عن (بيت الحكمة). غالبية المصادر تتفق على أنه (عراقي المولد والأصل). قال عنه (ابن خلدون) و(الزمخشري): (إنه من أهل خوازم العراق)[91] أما المؤرخ الطبري، فقد قال عنه: (محمد بن موسى الخوارزمي القطربلّي، نسبة إلى قرية قُطْرُبُلّ من ضواحي بغداد)[92]، وفي أقصى الأحوال يمكن تعليل لقبه (الخوارزمي) بأن أصل أجداده من (خوارزم ـ أوزبكستان) مثل جميع ألقاب الأصول القديمة، التي لا يمكن التأكد من سببها وأصلها، ولا تعني الانتماء البلادي للشخصية.

ـ **الحسين بن منصور الحلاج:** المتصوف المعروف، وهنالك جدل واختلاف كبير عن أصله ومكان ولادته. الموسوعة الإسلامية الإنكليزية تقول: إن جده هو (الصحابي أيوب الأنصاري)[93] أصله من (البيضاء) ولكن هي التي في (فارس) أم في (جنوب العراق)[94]؟. لكن المؤكد أنه نشأ في (مدينة واسط العراقيه)، وحتى الذين يظنون أنه (فارسي)، يقرّون بأنه نشأ في (واسط) ولم يعرف سوى العربية[95]، وتعلم في (بغداد) على يد المتصوف العراقي الكبير (الجنيد البغدادي)، وفيها أبدع وتوفي.

ـ **سيبويه (أَبُو بِشْر عَمْرو بْن عُثْمَان بْن قَنْبَر الْبَصْرِيّ):** عالم اللغة الكبير. هنالك تقوّلات وجدالات لم تحسم حول أصله ومكان وتاريخ ومكان مولده، وتاريخ ومكان وفاته[96]. قيل: إنه ولد في (قرية البيضاء ـ فارس) أو في (الأحواز) أو في (البصرة)،

---

(91) ـ عن الخوارزمي: مقدمة ابن خلدون/ ص555.

(92) ـ كذلك: ويكيبيديا بالإنكليزية، وفيها مصدر:

ـ Iraq After the Muslim Conquest», by Michael G. Morony, ISBN 1 3 ـ 315 ـ 59333 ـ (a 2005 facsimile from the original 1984 book), p. 145

(93) ـ عن (جد الحلاج): الموسوعة الإسلامية ـ الجزء الأول من المجلد الثامن، ص17.

(94) ـ عن مكان ميلاد الحلاج في العراق: R. Snir, A Study of 'Elegy for al Ḥallāj' by Adūnīs,» Journal ـ of Arabic Literature 25.2 (1994), pp. 245 ـ 256.

(95) ـ عن جهل الحلاج بالفارسية وإتقانه فقط العربية:

Jawid Mojaddedi, «ḤALLĀJ, ABU'L ـ MOḠIṮ ḤOSAYN b. Manṣur b. Maḥammā Bayżāwi» in Encyclopedia Iranica

Louis Massignon, Louis Gardet (1986). Encyclopedia of Islam, 2nd ed., Vol. 3, «Al ـ Halladj». Brill. pp. 99 - 100.

(96) ـ عن مكان وفاة سيبويه، فإن إيران كالعادة قد حسمت الأمر وصنعت له قبراً في شيراز.

ـ يقول (ابن خلكان):

=

وربما أمه فارسية، وهي التي لقبته (سيبويه: رائحة التفاح). لكن المؤكد أنه تربى وتعلم في (البصرة) على يد عالم اللغة البصري العربي العراقي الكبير (الفراهيدي)، وفيها عُرف وأبدع، وكذلك في (بغداد)، ولغته الوحيدة هي العربية[97].

ـ **الموسيقار إبراهيم الموصلي، وابنه الموسيقار إسحاق الموصلي:** ولد (إبراهيم) في الكوفة[98]، ربما من أصول فارسية أو أعجمية قديمة، ولكن غير مؤكدة. عاش وتعلم في (الموصل) وحمل لقبها (الموصلي). انتقل إلى (إيران ـ الري) ليعزف في قصور الأمراء، وهناك ولد (ابنه إسحاق)، ثم عاد مع عائلته إلى (بغداد) ومات فيها. أما ابنه (إسحاق) فقد استقر في (الموصل) وحمل أيضاً لقبها، ثم استقر في (بغداد) في قصر الخليفة العباسي، حيث تعلم على يده (الموسيقار الكبير زرياب).

ـ **الموسيقار زرياب:** هو أبو الحسن علي بن نافع الموصلي، ولد عام 777م في (قرية كردية في الموصل)[99]، ونشأ في (بغداد) وكان تلميذاً لإسحاق الموصلي، ثم هاجر واستقر في الأندلس وأحدث ثورة إصلاحية موسيقية ومدنية هناك، وما يسمى بالغناء الأندلسي يرجع إليه[100].

ـ **الحسن بن الهيثم:** اشتهر بالرياضيات والبصريات والفيزياء والفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية، وبتجاربه العلمية إضافة إلى مؤلفاته. ولد وعاش في (البصرة)، وتوفي في القاهرة، ولكن هنالك شكوك حول أصله العربي، والأخطر أنه شيعي فاطمي، والدليل أنه عاش مع الفاطميين في مصر، وقبره في (القاهرة). إذن شيعي فاطمي، يعني بكل بساطة أنه فارسي إيراني!!!

= فتوفي في قرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين، وعمره نيف وأربعون سنة، وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة في سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين، وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوة، وذكر الخطيب في « تاريخ بغداد» عن ابن دريد أنه قال: مات سيبويه بشيراز، وقبره بها، والله أعلم، وقيل: إن ولادته كانت بالبيضاء المذكورة، لا وفاته. (وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ ج3 ص 164).

(97) ـ عن سيبويه: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان ـ ج3 ـ الصفحة 464.

(98) ـ عن أصل إبراهيم الكوفي الموصلي وكذلك إسحاق، طالع:

الموسوعة البريطانية: «Isḥāq al – Mawṣilī. Encyclopædia Britannica, 2011

ـ كذلك ويكيبيديا بالإنكليزي.

(99) ـ عن زرياب الموصلي الكردي:

– Jesús Greus, Ziryab, Phébus, 1993

(100) ـ عن زرياب: طالع دراسات جيدة في ويكيبيديا، بالعربي والفرنسي والإنكليزي.

ـ **نفطويه**: هو أبو عبد الله العَتَكيّ الأزديّ: فقيه ومن أئمة النحو. لقب (نفطويه) تشبيهاً له بالنفط، لسواده، ولد في (واسط) في العراق، وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد). لكن مؤرخينا في العصر الحديث اعتبروه (فارسياً) بسبب (ويه) مثل (سيبويه) على الأسلوب الفارسي!

ـ **أثير الدين الأبهري** 1264م: وهو حكيم وفيلسوف. نشأ وتتلمذ وأبدع في الموصل، ثم في أربيل وفي دمشق، ولغته الوحيدة هي العربية. تم احتسابه على الفرس، بالاعتماد فقط على لقبه (أبهري سمرقندي)، علما بأن (سمرقند) في أوزبكستان التركستانية!

ـ **الشاعر بشار بن برد**: ولد في البصرة، وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد). كان يدَّعي أحياناً أن أجداده من الفرس، وله أبيات يفتخر بها بأصله الخراساني، وأحياناً العربي العقيلي، حسب المزاج والمصلحة:

إنني من بني عقيل بن كعب *** موضع السيف من طلى الأعناق

ـ **أبو الحسن الكسائي**: وهو إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وسابع القراء السبعة، ويعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية في النحو، ولد في إحدى قرى (الكوفة)، وعاش وأبدع في (بغداد) وصاحب الخليفة (هارون الرشيد) وتوفي في (الري ـ إيران) أثناء سفره بصحبة الخليفة، ولأنه (مولى، أي غير عربي أصيل) ومات في (إيران) إذن تلقائياً فهو (فارسي)!!

ـ **جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي**: برع في الفلك والهندسة وعلم المعادن والفلسفة والطب والصيدلة، وأول من استخدم الكيمياء عملياً في التاريخ. اختلف المؤرخون عن مكان ولادته: (الكوفة، حران..). عاش وأبدع في (بغداد). بما أنه كان شيعياً ومات في سجنه في (الكوفة) بسبب تعاطفه مع البرامكة، إذن من السهولة احتسابه على الفرس وإيران؟!

ـ **ابن خلكان**: مؤرخ مشهور، ولد في (أربيل) وقد يكون كرديا، وعاش وأبدع وتوفي في (دمشق). فيمكن اعتباره (عراقياً ـ سورياً).

ـ **أحمد بن يحيى البلاذري**: مؤرخ مشهور، ولد وعاش وأبدع ومات في بغداد.

لا أحد يعرف أصل لقبه (بلاذري)، ولكن بسببه اعتبره مؤرخونا (فارسياً). رغم أن (بلاذر) نوع من النباتات بالعربية.

ـ أبو الفرج الزيدي الأصفهاني: الشهير بمؤلف (الأغاني) و (مقاتل الطالبيين)، ولد ونشأ وأبدع ومات في (بغداد) سنة 284هـ، اشتهر بالأصفهاني، إلاّ أنه لم ينشأ بها، ولكن يعتقد أن جده القديم قد ولد في أصفهان، من نسل (مروان بن الحكم)، وأن جده وعمه كانا أدباء سامراء.

ـ الشاعر ابن الرومي: ولد وعاش وأبدع وتوفي في (بغداد)، من أصل (رومي: قد يكون أرمنيًّا)، وأمه من أصل (فارسي)، فإنّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه، وقد احتسب على الفرس لقوله: «كَيفَ أُغضي على الدَّنيَّة والفرس خؤولي وَالرُّوم أعمامي».

ـ مسلم بن قتيبة الدينوري: أديب فقيه محدث مؤرخ مسلم. من المتفق عليه أنه ولد في العراق إما (بغداد) أو (الكوفة)، ثم ولي (قضاء الدينور) في إيران، بضع سنين، فنسب إليها. تعلم وأبدع في بغداد، وتوفي فيها.

الشخصيات العراقية المتفق على عراقيتها

طبعاً لا يمكن إحصاؤهم، ويمكن القول دون أي شك: إن حوالي نصف المبدعين في الحقبة العربية الإسلامية هم عراقيون دون منازع، ولكن ضمن هذا السياق التهويلي لدور الفرس، نحن مضطرون إلى التذكير بالشخصيات العراقية، وهذه بعض الأسماء المعروفة والمهمة:

هؤلاء الكبار من آباء من (دير عين تمر)!

((الفقيه ومفسر الأحلام (محمد بن سيرين البصري) ـ كبير قادة الأندلس (موسى بن نصير) ـ مؤلف السيرة النبوية (محمد بن إسحاق) ـ الفقيه الحسن البصري)).

في بدايات الفتح الإسلامي للعراق (عام 633 م)، استولى المسلمون على (بلدة عين تمر) شمال (كربلاء) وكانت حصناً وديراً للنصارى، وجد خالد في ديرها أربعين

غلاماً يتعلمون الإنجيل، فأخذهم كسبي وقسَّمهم على جنده. من هؤلاء الغلمان: (سيرين)، وهو والد (محمد بن سيرين)، وكذلك (نصير) والد القائد الشهير (موسى بن نصير)، وكذلك (يسار) جد (محمد بن إسحاق). أما (الحسن البصري) فهو من (ميسان) حيث تم سبي والدته الميسانية وهي حامل به في بدايات الفتح الإسلامي، ثم ولدته في المدينة.

قال ابن خلدون عن فن الأدب: (وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم إن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأمالي لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها)، وهؤلاء الأربعة هم من العراق.

الشخصيات المعروفة

ـ **ابن هشام** (الكاتب الأول للسيرة النبوية في القرن الثاني هـ): وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفى سنة (218هـ)، وقد روى السيرة النبوية نقلاً عن محمد بن إسحاق المطلبي.

ـ **أبو مخنف** (709ـ 774): ولد وعاش وتوفي في الكوفة، وهو من اوائل المؤرخين والموثقين في التاريخ الإسلامي، وأول من سجل (واقعة الطف في كربلاء) وعلى مصدره اعتمد جميع المؤرخين.

ـ **الكندي** (805 ـ 873 م): أول فلاسفة العربية والإسلام. ولد في الكوفة وينسب إلى قبيلة كندة، وكان والده أميراً على الكوفة. يعتبر مؤسس الفلسفة العربية الإسلامية. كان موسوعياً فهو رياضي وفيزيائي وفلكي وفيلسوف إضافة إلى أنه موسيقي، وواضع أول سلَّم للموسيقى العربية. كان شاغله الأكبر إيجاد التوافق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية الأخرى، وخاصة العلوم الدينية. أتقن اللغتين السريانية واليونانية. أوكل إليه المأمون مهمة الإشراف على ترجمة الأعمال الفلسفية والعلمية اليونانية إلى العربية في (بيت الحكمة)، ويعرف عند اللاتين باسم (**Alkindus**)، وعدَّه بعض الباحثين الأوربيين من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم.

ـ **الجاحظ** (159 ـ 255هـ): هو أبو عثمان البصري. يقال: إن أصله زنجي وإن جده كان مولى لرجل من بني كنانة، وكان ذلك بسبب بشرته السمراء. أَلَّفَ في علم الكلام والأدب والسياسة والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء وغيرها.

ـ **أبو علي القالي** (280 ـ 356هـ): ولد ونشأ في (منازجرد) في أعالي دجلة (شمال الموصل)، ورحل إلى بغداد، فتعلم فيها وأقام 25 سنة، ثم رحل إلى المغرب واستقر في قرطبة وتوفي فيها، ومن أشهر مؤلفاته (كتاب الأمالي).

ـ **أبو حيان التوحيدي** (923ـ1023م): فيلسوف متصوف، وأديب بارع، وهو بغدادي المولد والنشأة، وقد امتاز بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، كما امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى ومن أشهرها (كتاب الإمتاع والمؤانسة).

ـ **عبد الحميد الكاتب الأنباري** (القرن 2هـ): وهو الأستاذ الأول للكتابة الفنية عند العرب. نشأ في الأنبار (أو الشام) واحترف التعليم في الكوفة واتصل بخلفاء بني أمية، وكان من أشهر الكتّاب وأبرعهم.

ـ **ابن النديم** (القرن 10م): هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق الوراق البغدادي. هو أديب وكاتب سيرة ومصنف وجامع فهارس، صاحب الكتاب المعروف «الفهرست».

ـ **الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري** (100هـ/ 718م ـ 173هـ/ 789م): وهو أستاذ عصره في اللغة العربية وأحد أهم علماء اللغة العربية، يعتقد أنه ولد في عمان. تميز كذلك في الموسيقى والترجمة، وكان أستاذاً لكبار اللغويين الأوائل ومنهم سيبويه.

ـ **ابن جني أبو الفتح عثمان** (322 ـ 392هـ): عالم نحوي كبير، ولد بالموصل ونشأ وتعلم النحو فيها.

ـ **موسى بن شاكر وأبناؤه** (القرن 3هـ/ 9م): وهو من أصل تركمانستاني (ولد في مرو)، ونشأ واشتغل في بغداد، فهو من كبار المنجمين والفلكيين الذين عاشوا في عصر الخليفة العباسي المأمون، وقد اشتهر بإتقانه العلوم الفلكية، وانتدبه المأمون في بعثة إلى منطقة سنجار (من أقضية العراق) فقاس محيط الأرض بمسافة مقاربة جداً

للقياس المعاصر. اشتهر أبناؤه الثلاثة البغداديون، ولعبوا دوراً مهماً في تطوير علوم الرياضيات، والفلك، والهندسة.

ـ **الفزاري:** صانع أول أسطرلاب (آلة قياس الأفلاك) وعالم فلكي ورياضي، ولد في الكوفة وعاش وأبدع في بغداد عام 144هـ (747م). البعض ينسب اختراع الأرقام العربية إليه.

ـ **ابن فضلان** (القرن العاشر م): هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي. كتب وصف رحلته ولقائه بملك الصقالبة (بلغار الفولجا ـ روسيا) سنة 921 م، ويعترف الغربيون بفضل الرحلة في تدوين اكتشافات أقوامية نادرة لم يكن العالم يعرف عنها شيئاً، واعتمد عليها (الروس) في معرفة تاريخهم الاول.

ـ **اليعقوبي** (القرن 9 م): هو أبو العباس أحمد بن إسحاق، ولد في بغداد وقضى بعض حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر، وهو كاتب ومؤرخ وجغرافي، وقد قامت شهرته على أثرين من آثاره هما: كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي، وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام.

ـ **المسعودي** (283هـ ـ 346هـ/ 896 ـ 957م): أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ولقبه قطب الدين، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود، وهو عالم فلك وجغرافيا، ولد ببغداد وتعلم بها. كان كثير الأسفار وقد زار بلاد فارس والهند وسيلان وأصقاع بحر قزوين والسودان وجنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والروم، وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر، وهو معروف بهيرودوتس العرب، وله عدة مؤلفات مهمة، ومنها كتابه البلداني الشهير (مروج الذهب).

ـ **ابن خرداذبة** (820 ـ نحو 893م): وهو جغرافي معروف، ولد وعاش في بغداد. له تصانيف تاريخية وبلدانية عدة[101].

---

(101) ـ عن ابن خرداذبه، تذكر المصادر الإعلامية دائماً أنه فارسي، والحقيقة أنه ربما من أصل فارسي. فهاهي موسوعة الإعلام للزركلي، تقول بالنص:
ابن خرداذبه (نحو 205 ـ نحو 280 هـ = نحو 820 ـ نحو 893م) عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل. من أهل بغداد. كان جده خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة.
إذن مولده هو، وربما أيضاً والده، في بغداد. وهذا مثال عن عمليات التفريس التعسفية والعنصرية للشخصيات العراقية، من قبل مؤرخينا في العصر الحديث.

ـ **ابن مقلة** (884 ـ 939م): هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة البغدادي، الوزير، والخطاط، والكاتب. اختصر أنواع الخطوط إلى ستة: (الثلث ـ النسخ ـ التوقيع ـ الريحان ـ المحقق ـ الرقاع).

ـ **يحيى بن محمود الواسطي** (من القرن الثالث عشر الميلادي): من أشهر الرسامين، ولد في بلدة واسط في جنوب العراق. اختطَّ نسخه عام 1237م، من مقامات الحريري وزيَّنها بمائة منمنمة من رسومه تعبر عن الخمسين مقامة (قصة)، وكان عمله هذا أول عمل في التصوير العربي يعرف باسم مبدعه، ويعتبر مؤسس مدرسة بغداد للمنمنمات.

المترجمون السريان

لقد لعب النصارى السريان العراقيون والأحوازيون والشاميون دوراً أساسياً في تطوير الحضارة العربية الإسلامية في بغداد، ومن أبرز سريان العراق:

ـ **حنين بن إسحاق:** أبو زيد العبادي، كان ماهراً في الترجمة إلى جانب مهارته في الطب، وقد انصرف إلى ترجمة الكتب اليونانية وإخراجها باللغة العربية أو السريانية، وأصبح رئيساً لبيت الحكمة الخاص بالترجمة في زمن المأمون.

ـ **ثابت بن قرة الحرَّاني** (الصابئي): الرياضي الفيلسوف المتوفى سنة 288 ممن برعوا في الترجمة وبرزوا فيها، ويظهر من عدد الكتب واختلاف مواضيعها مما نقله إلى اللغة العربية من اللغتين اليونانية والسريانية، أنه كان يجيد هاتين اللغتين إلى جانب اللغة العربية.

ـ **إسحاق بن حنين:** تعلَّم صنعة الطب ومارسها بمهارة، فكان واحد عصره فيها، وكان يجاري أباه حنيناً في سعة معرفته باللغة العربية واللغتين اليونانية والسريانية.

ـ **حبيش بن الأعسم:** هو ابن أخت حنين بن إسحاق وقد درس عليه صنعة الطب، وأتقن اللغتين السريانية واليونانية إلى جانب اللغة العربية، وحذا حذو خاله في الترجمة من حيث الدقة، وأكثر نقله من اللغة السريانية.

ـ **متي بن يونس:** أبو بشر من أهل دير قُنَّى، أحد الأديرة القريبة من بغداد، ودرس في مدرسة مار ماري التابعة لهذا الدير، عاش ببغداد ودرس كتب أرسطو في المنطق على إبراهيم القويري، وإليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره.

ـ **عيسى بن يحيى بن إبراهيم:** أحد تلاميذ حنين بن إسحاق، وقد درس عليه صنعة الطب، وعمل معه في الترجمة في بيت الحكمة.

ـ **إصطفن بن بسيل:** من الكتّاب الحاذقين في الترجمة ممن عينهم المتوكل على الله ليعملوا بمعية حنين بن إسحاق عندما أناط به رياسة بيت الحكمة.

ـ **عبد المسيح بن إسحاق الكندي** (القرن التاسع ميلادي) كاتب عربي مسيحي عراقي ينتسب إلى قبيلة كندة العربية، له عدة مؤلفات في التبشير بالمسيحية كما له رسالة إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعوه فيها إلى اعتناق المسيحية، وهي رد على رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي التي دعاه فيها إلى اعتناق الإسلام.

ـ **يوحنا بن ماسويه الحراني البغدادي:** توفي 243 هـ، وهو عالم موسوعي بالطب والنبات والصيدلة، وناقل مترجم، وعالم أرض.

ابن وحشية النبطي، عالم كبير واول دارس للهيروغلفية المصرية!

عاش في (القرن 3هـ نهاية القرن 9م)، كيميائي وعالم لغوي نبطي (سرياني عراقي) ولد في الكوفة. له العديد من المؤلفات في الكيمياء والسحر كما ألف كتاب (الفلاحة النبطية) الذي يعتبر من أشهر المؤلفات الزراعية القديمة. تجدر الإشارة إلى أن بحثاً جديداً في (مخطوطة شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، وهو كتاب قام ابن وحشية بتناول 89 لغة قديمة وكتاباتها ومقارنتها بالعربية ومن ضمنها الهيروغليفية التي حلل أصواتها. هذه المخطوطة كانت قد نشرت مترجمة في لندن عام 1806 من تحقيق المستشرق النمساوي جوزف همر، أي 16 عاماً قبل اكتشاف الفرنسي (شامبوليون)، الذي من المحتمل كان قد اطّلع على هذه المخطوطة التي ساعدته على حل رموز الهيروغليفية المصرية!

نساء متميزات

مثل كل الحضارات المزدهرة حيث تزدهر الأنوثة ويبرز دور المرأة وتلعب أدواراً مهمة في جميع مجالات الحياة والثقافة والمجتمع والدولة، وقد برز في العراق العديد من النساء في مختلف المجالات، وهذه عينة من أشهرهن:

ـ سجاح الموصلية، مدَّعية النبوة(القرن السابع م)

وهي سجاح بنت الحارث بن سويد التميم، وهي نصرانية مثل باقي بني تغلب،

وعندما بدأت حركات الردة خاصة بعد وفاة رسول الله وسمعت بردَّة طليحة ومسيلمة، بدأت بإعلان نبوتها وتبعها عدد كبير من بني تغلب ومن بني يربوع. سارت إلى منطقة نجد وأرادت أن تهاجم المدينة، ثم اجتمعت هناك بـ (مسيلمة الكذاب)، حيث أشيع ضدها فيما بعد حكاية مجون مع مسيلمة، ثم لما بلغها سير خالد بن الوليد بقواته نحو منطقة اليمامة بعد أن قضى على حركتي طليحة ومالك بن نويرة، عادت إلى العراق. وبعدها أعلنت إسلامها وهاجرت إلى البصرة حيث استقرت حتى توفيت هناك في عهد الخليفة معاوية.

ـ رابعة العدوية البصرية، اعظم المتصوفات (717م ـ 801م)

وهي من أكبر الشخصيات المشهورة في التصوف الإسلامي، وتعتبر مؤسسة أحد مذاهب التصوف الإسلامي وهو مذهب (العشق الإلهي). ولدت في مدينة البصرة، بعد حياة شاقة انصرفت إلى الإيمان والتعبُّد ورأت فيه بديلاً عن الحياة العائلية، وتمتعت بموهبة الشعر الصوفي والعشق الإلهي.

ـ زبيدة زوجة الرشيد (766 ـ 831م)

وهي أم جعفر الهاشمية بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد وأم ولده الأمين، وهي من النساء البغداديات اللائي أنشأن المباني العظيمة ووقفن الوقوف على المسلمين، فقد كانت معروفة بالخير والأفضال على أهل العلم والبر والفقراء والمساكين ولها آثار كثيرة في طريق مكة من آبار حفرتها وبرك أحدثتها، وكذلك في مكة والمدينة، وكانت شاعرة رثت ابنها الأمين بقصائد معروفة. توفيت في بغداد سنة 216 هـ، وكان لها تأثير في سياسة الرشيد والبرامكة.

ـ الخيزران، البربرية، ام الخليفتين (القرن 8)

وهي زوجة الخليفة العباسي المهدي، ووالدة هارون الرشيد والهادي. قيل: إنها جارية يمنية أو بربرية مغربية، وهي التي ساعدت ابنها الرشيد على تسلم الخلافة، وعندما انتصر هارون على أخيه حظيت بمكانة كبيرة. يعتقد أن شخصية شهرزاد في ألف ليلة وليلة مستوحاة من شخصيتها.

ـ **المغنية دنانير البصرية:** إحدى النساء الشهيرات ومن كبرى المغنيات في العصر العباسي، وكانت جارية يحيى بن خالد البرمكي، تعلمت الغناء وأتقنت الصنعة عندما كانت مُلكاً لرجل من أهل المدينة، وحين رآها يحيى بن خالد البرمكي أعجبته فاشتراها، وبقيت عنده، وقد عرفت بجمالها وبهائها وقدرتها على الغناء ورواية الشعر، وهي زميلة المغني (إسحاق الموصلي). ألَّفت كتاباً في الغناء يُعد مرجعاً لأهل الفن.